

# السّوقية عند العرب

دراسة تاريخيّة عسكريّة

مبادئ وشرعات

إعداد : وتأليف
العميد المتقاعد
فهد مقبول الغبين



# السـوقية عند العـرب

## دراسة تاريخيـة عسكـريـة

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 9 / ذو الحجة / 1443 هـ
فـــي 08 / 07 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائـي

تأليف

العميد المتقاعد

**فهد مقبول الغبين**



الطبعة الثانية

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م



## الاهـــــداء

الى ارواح الشهداء الابرار الذين قدموا ارواحهم رخيصة في سبيل الله • مدافعين عن دينهم وأرضهم • الى كل الجنود الذين دافعوا وما زالوا يدافعون عن الامة العربية في سبيل ان تبقى راية الاسلام والعروبة خفاقـــة عاليـــة •

الى كل هؤلاء ، والى الاجيال العربية القادمة ، اهدي هذا الكتاب المتواضـــــع •

فهـد



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون "

صدق الله العظيم

سورة الأنفال : ٦٠

هذا الكتاب :

لقد تم إعداد مسودة الطبعة الأولى من هذا الكتاب في أوائل السبعينات وإحساسنا بأهمية المرحلة التاريخية التي مرت بها البلاد العربية والإسلامية عبر العصور وحتى اليوم قمنا بنشر الطبعة الأولى منه آملين أن نكون قد أدينا الأمانة ، خدمة لأمتنا وتراثها العسكري وتاريخها المجيد ، مقارنة مع الأساليب والطرق والخطط العسكرية الحديثة في الدفاع والهجوم .

وبعد نفاذ الطبعة الأولى من هذا العمل منذ عام ١٩٨٤م ولأهمية هذا الموضوع فقد وجدت من الفائدة أن أضيف إلى الطبعة الثانية في هذا الكتاب فصول جديدة تتضمن وصية عزل القائد المسلم خالد بن الوليد ومسيرته إلى أرض اليرموك والأسباب التي دعت إلى ذلك ومع أنني حاولت جاهداً أن أعطي الموضوع الدراسة الوافية الجهد الأكبر إلا أنني أدرك أن أي عمل لا يخلو من النقص فالكمال صفة الله وحده آملاً أن أكون قد أديت ما سعيت لأجله مكرراً اعتذاري من كل قارئ كريم عن كل نقص بهذا العمل المتواضع .

المؤلف



# اهمية التاريخ العسكري

## أهمية دراسة التاريخ العسكري

**١ . أن تاريخ الحرب قديم قدم الانسان. وهو اقدم التواريخ اطلاقاً ومؤرخوه هم حقا اول المؤرخين في العالم.**

ولقد كشفت اثار النقوش الحجرية والفخارية التاريخية التي وجدت فـــي ارجاء بلاد المشرق صورا عديدة من مشاهد القتال والحروب . ونقلت للناس وقائع الملاحـم الحماسية التي وصلت الى اسماعنا بعد ان تناقلتها الالسن خلال الازمان السالفة فـي بلاد الشرق والغرب وقصت علينا عديدا من روايات القتال والحرب .

وانبرى التاريخ يثبت وقائعه الهامة قبل ان يفكر اي مؤرخ بكتابة مثل هـــذا التاريخ العسكري القديم العهد . واشارت بعض الكتب السماوية المنزلة الى مثل هذه الوقائـع الحربية التاريخية ، وصورت بعضا من مشاهدها ، واوردت شتى اخبارهـــا قصصا هائلة عن منازعات البشر فيما بينهم . وتبدى القتال والقتل بين جموع البشر ، وكأنهمـا طبيعة مالوفة في حياتهم . وكان عمل القوة ذا اثر بالغ في النفوس اكثر من اي مؤثر اخر .وكانوا يتفننون بوقائعة وامجاده ويولونه كبير اهتمامهم وحماستهم واعجابهـم . وهكذا جعل الانسان المتقدم من وقائع الحرب اول تاريخ محبب اليه ، يتناوله المحدثون فيما بينهم ، ورواه الرواة في مجالسهم ومجامعهم ، وقراه القراء على الناس ، ثم اخذوا يكتبونه جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر .

والمعلوم ان للبشرية تاريخا عاماً بدون عادة منشأها وتدرجها واحوالها ونشاطها عبر العصور . ويقينا انه من الصعب عزل التاريخ العسكري عن التاريخ العام . ونصل القوة العاملة عن قرائنها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافيـــة الارتباطية . واننا اذا اعتمدنا مثل هذه الظاهرة ، فمعنى ذلك حرمان القوة المذكـورة من أصولها . والمشهور انه لا توجد مهنة في العالم تستطيع الافادة مباشرة من دراسة الماضي ووقائعه كالمهنة العسكرية . أن تاريخ الحرب يرتبط بالفعل بكافة النظـم وعلاقاتها المتنوعة ، كما يبدو على ارتباط وثيق بكل مظاهر الحياة البشرية ونشاطها . وقد تبدو الحرب احيانا وكأنها بدات قبل الانطلاق ، ويحتمل ان تكون نتائجها وعلاقاتها ابعد من أن تتوقف حتى بعد انتهائها ، وانها قد لا تتعدى الواقع الجغرافي فحسب ، بل وانها لتتدعميقا لتلامس اغلب النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة والبشـــرية .

ولا بد من التساؤل هل لدراسة التاريخ العسكري في الواقع الاهمية الوجيهة التي ينبغي الاعتماد عليها جديا ؟ وهل تتجاوب هذه الدراسة في عصرنا مع تطورات الحرب الحديثة بسوقيتها وتعبئتها ؟ .

أن ما ابدعته البشرية من منجزات لم ينج اغلبها من واقع التطور المستمر قليلا أو كثيرا وفقا لواقع الظروف والامكانات المواجهة . وكذلك الحرب فقد تطورت مع الزمن ايضا وجرت مع هذا التطور شوطا بعيدا . ولكنها لم تنفصل عن سياق التاريخ . بل ظلت مرتبطة به ارتباطا لا انفكاك عنه . لان فن الحرب لم يتحرر حتى يومنا هذا من اطاره التاريخي . ولم يتمكن هواته بعد من دراسته عن طريق الكتب الفنية والانظمة السياقية الموضوعية . ولم يجدوا حتى الان اي سبيل ممكن لتعلمه الا من خلال احداث التاريخ العسكري ومدوناته . وخلال المواقع التي سيرها كبار القادة السالفين . وقادها رجال الحرب المشاهير عبر الازمان .

اجل اننا نستطيع ان ندرس تقنية الحرب ذاتها وآليتها وطرق استخدام معداتها ووسائلها وطرائق اعتمادها . وان نتقن هذه الدراسة اتقانا فائقا بفعل مطالعة الانظمة والمؤلفات ولكن الحرب ذاتها ومواقعها ومقدماتها واسبابها وسوقها وقيادتها وطرائقها وعلاقاتها المكانية والزمانية وخصائصها ونتائجها . كل هذه المفاهيم ظلت مرتبطة بالتاريخ العسكري أوثق ارتباط . ولا يمكن تعلمها واتقانها الا من خلال طياته وصفحاته العديدة . واننا نلاحظ بالتالي ان اغلب الامم العسكرية تعطي للتاريخ العسكري في كلياتها ومدارسها الاهمية والاعتبار وتعني بتدريسه عناية تامة . وتفرض معرفته ودراسته كمادة اساسية في نطاق الدراسات الحربية التي لا يمكن اغفالها والاعراض عنها قط .

و ننا نود هنا ان نأتي على ذكر الاهمية البالغة التي وردت في تقرير لقائد سوقي اجنبي كبير والمتعلقة بضرورة الاعتماد على تدريس التاريخ العسكري دراسة مستوفاة ، وقد لفت الى ذلك انظار زملائه العسكريين ، وأشار الى مبلغ العناية من اجل دراسته والاهتمام بمطالعته اذ يقول :

ان المهنة العسكرية تتطلب قبل اية مهنة اخرى معرفة الماضي ووقائعه معرفة كافية ليضع قادتها ورجالها اشارات الاهتداء على طريق المستقبل كيلا يضل هؤلاء الطريق الصحيحة المعبدة . وعليهم أن يهتموا ايام السلم جل الاهتمام بدراسة الحروب التاريخية واسبابها ونتائجها وميزانها واخطائها . وان يمضوا في تحليل وقائعها وتفاصيلها بالطرق العلمية الثابتة ، ويدرسوا تنظيماتها وخططها وشرعها واسسها وقواعدها التي اتبعت في سياقها ، والتي ترتبت وجرت عليها ، وتم انجازها بموجبها .

بيد ان كثيرا من الضباط لا يعنون بامرها العناية **التـامة** ، ويحصرون جهدهم في معرفة ما في ايديهم من الانظمة والتعاليم الفنية والالية الحديثة ؛ ويكتفون بمـا يدرسونه من التعاليم النظرية والتمارين العملية اليومية ؛ وهم يظنون ان فن الحـرب الحقيقي كله محصور في هذه الصفحات وتطبيقاتها . وفي دراسة الارض والخارطـة وتطبيق تمارين ومناورات معينة الحدود . بل ان بعضهم يذهب الى القول ان ما جـاء به الماضي هو من مخلفاته التي ترتبط به . وان علاقته بالحاضر المتطور آلت الى الضعف والضمور . ولكن الواقع يثبت عكس هذه التقولات الخاطئة . فالاسس والقواعـد الحربية التي اعتمدت في الماضي وتناولت المواقع الكبرى . جرت كلها في نطاق ايجابي ومسار عملي ؛ واشتملت على عمل القوات الضاربة في طبيعة الحروب وميادينها الفعلية لا النظرية . وشهدت الحقائق المثبتة كما هي بالاعمال لا بالاقوال؛ وعاينت كل ما احاط بالساحات والميادين من عناصر ثابتة أو عارضة سيرت العمليات الحربية وعينت اتجاهاتها أو غيرت مجراها وسياقها ؛ أي انها كانت تتحسس الموقعة مباشرة . وتلامس أوضـاع القتال وتسايرها . وتسير معها جنبا الى جنب. فالحروب ما تزال تجري اليوم كمـا كانت تجري بالامس حتى ولو اختلفت اليوم الاعداد والارقام ؛ والابعاد والمسافـات والوسائط الوسائل الراهنة عنها في الماضي ؛ فهي في واقعها حقائق مجردة **برهنت على** صحتها ووجاهتها الاحداث الفعلية . وهي تطبيقية في طبيعتها تناسب **كل عصر وزمان** مع قبول التعديلات التي تفرضها الوسائل والالية . ان ما ينقله الينا التاريـخ العسكري هو في واقعه صورة واضحة لتطبيقات قواعد الحرب واسسها التي سبق ان اعتمدها كبار القادة .

واننا نعتقد أن ما جاء في تقرير ماك آرثر لدعوة صادقة صريحة سداتها المعرفـة والخبرة ولحمتها الفكر السليم والتفكير الصحيح والواقع الثابت . ان مـن واجـب العسكريين المفكرين الافادة منها ؛ وهي نصيحة سوقي كبير عارف؛ يدعو بني جلدتـه للاخـذ بها ووضعها موضـع الاعتمـاد .

وبالاضافة الى ما تقدم من البيانات . يهمنا أن نقرأ ما أورده الماريشال الكونـت فون شليفن الالماني رئيس أركان حرب الامبراطورية حيث يقول :

« لقد رأيت كتابا مفتوحا معدا لكل من يحدثه طموحه ليكون قائدا مبرزا في مستقبل الايام . انه كتاب التاريخ العسكري الذي تناقلته البشرية منذ عهدها التاريخي بالقتال الذي لم ينته بانتهـاء غزوات نابليـون » .

انني متأكد بأن قراءة هذا السفر الحربي التاريخي لشيء عظيم هائل القـدر ، وعلى المرء أن يحفر في قاعه ، وان يعرق في جنباته ضمن كتلة هائلة من الخطـوط والحفر للوصول الى المكامن الخفية المديدة المحيرة . بيد ان هذه الكتلة الضخمـة

تضم في جوفها روائع نفيسة خالصة تثير بالفعل الرغبة والهواية في الاستمرار في متابعة هذا العمل العاني ، وفي هذا المحيط الذي ترسب في جنباته وحناياه درر براقة لامعة من شأنها ان تضيء وتنير ما حولها من السبل والدروب ، والمفازات والفجوات وذلك من اجل تحقيق بعثها واخراجها ومعرفة كيف حدثت ووقعت ، وهل يمكن أن تتكرر من جديد ؟ انها الاقتباسات الصادقة النيرة التي يفيد منها رجال الحرب الافذاذ الذين يلمسونها ويسيرون قدما نحوها ، وينبشونها من اعماقها ومدافنها ، ويعيدون سيرتها من جديد كرة اخرى ولكن ازاء احداث ومواقع جديدة .

لقد انشأت الدول العسكرية الكبرى هيئات ولجانا دراسية ذات اطلاعات واسعة بمعارف التاريخ العسكري لوضع مناهج تعليمية تقوم على اساس دارسة المواضيع التاريخية الحربية الكبرى من اجل اعدادها لهواة هذا التاريخ وضباطه وطلابه ، والتي تكتنف اغلب المواقع والمعارك الكبرى التي وقعت خلال العصور المنصرمة والعصور الحديثة لما فيها من الاهمية البارزة العلمية والتطبيقية الحربية في حروبنا الراهنة والقادمة معا . لم يعد ثمة انكار لاهمية الموضوع ووجاهته ، بل ليتوجب اعطاؤه الالتفاتة المستحقة المفروضة كي لا يضيع على شبيبتنا العسكرية نتاج ما زرعه الزارعون ، وحصاد ما جمعه الحاصدون من الامم الاخرى .

وانه من المتوجب علينا ايضا أن نفيد من خبرة الاخرين اجزل الفائدة ، وان نستغل ثمرات جهودهم ومساعيهم الطيبة ، وان نصل الى ما وصلوا اليه بزهيد كلفة وقليل عناء ولنتذكر الحكمة الفياضة السديدة التي قالها بسمارك في هذا الصدد وهي :

« المجانين وحدهم يقولون اننا نتعلم بواقع خبرتنا ، اما انا فأفضل ان اتعلم من واقع خبرة الاخرين » .

**بسمارك**

ان الغاية من دراسة التاريخ العسكري هي الاستحواذ على الخبرة الواسعة التي اكتسبها رجال العصور السالفة ، لان المرء مهما تجلى ذكاوءه ، ومهما تعاظمت قدرته الشخصية فانه لا يستطيع ان يحيط بدقائق كل شيء ، ولا أن يستوعب كل شيء، ولا أن يختار كل افكاره بنفسه ، فهذا كله يجب ان يكون عملا متدرجا متواليا تقوم به عديد العقول المفكرة المبدعة،لا انتاج العقل الفرد الواحد واذا كان لنا ان نراجع تاريخ مشاهير القادة ، نرى انه لم يبدع كل واحد منهم لنفسه مدرسة خاصة ، بل انه درس خطى من سبقه من كبار القادة،وعنهم اقتبس طرائفهم بأسسها وقواعدها،وعمل على تكييفها وفق عصره وزمانه . ولم يعتبر اي واحد منهم ان دراسة مهنته فقط هي التي تجعله قائدا بين القادة ، بل ان تمرينه الرياضي على دراسة وقائع الماضي كفيل بأن يضعه في عداد القادة ورجال الحرب .

ان المهنة العسكرية تواجه في الواقع منذ البداية حتى النهاية سياقا متلاحقــــا من البيانات الجذرية في التمرين والتدريب والتعبئة والقتال والدروس والمواضيع التعليمية فاذا اقتصرنا على هذه التعاليم وحدها فأين نلتقي اذا مع العلم والفن والمهنة والشرعة والقواعد والبراهين ومبادىء الحرب . ان بيانات الاسس التي ترتكز عليها عادة المهنة والعلم تقوم على نتائج التجربة المديدة والخبرة الطويلة ، وما كانت تتهيأ كما نراها مــن اعتماد فكرة واستنباط راي وكفى . واننا لا نستطيع ان نقتنع بصحة اي علم كان ، اذا لم يقم عليه البرهان العملي والتجريبي المستند الى الملاحظة البينة والمعاينة الظاهرة والتحليل المثبت ، وعلى اساس ذلك يمكننا ان نتقبل عندئذ القرار الذي اعتمدناه عنه ، فيصبح من الناحية العملية موضوعا مثبتا لا اعتراض عليه ولا انتقاد ، ولا يتناوله ريب او شك . فالمهنة العسكرية اذا كنا نعتبرها تطبيقات علم ، فما كانت لتشذ عن هــذه القاعدة الاساسية ، ويجب ان تتوفر فيها الصفات الانفة الذكر .

وانه ليهمنا في هذا الصدد ان نذكر ما اورده المارشال دوساكس في رسالتــــه التعليمية عن فن الحرب حيث يقول :

« ان الحرب هي تطبيق علم عميق الغور ، وكأنه بذاته غير مستكمل الحدود ، اذ يتعذر عليه اعطاء نظام مضطرد ثابت لسوق الحرب وتنفيذها بحقائقه المجــــردة المطلقة وذلك بواقع ما يحيط بها ( اي الحرب ) من عوامل قد تقوم على الغيـــب او الجهل ، أو كونها غير واضحة او مثبتة بحكم مؤكداتها وفرضياتها واحتمالاتها ؛ بينمـــا هذه العوامل تكون قائمة في اساسها وركنها ، وكل ما هناك تحقيق أمكان تمييزهــــا وتبيانها بحدودها ، واخيرا فالمسألة الجوهرية في الموضوع توجب تقرير اعتبار كــــون الحرب ، أهي في الواقع حرفة أم علم ؟ وها هو يجيب فيقول :

« انها حرفة لمن اتخذها حرفة ، وهي علم في ادراك من تميز بعبقريته الحربيـــة فجعلها علما » .

اجل لقد أصاب دوساكس بتعريفة هذا فجعل الحرب حرفة المحترف ، كما جعلها علما للعالم .

لقد مضى ما يقرب من مائتي عام على قول هذا القائد العسكري الكبير ، ومـــا كنا لنرى في تعريفة الوصفي للحرب اي اشكال ، بينما نحن اليوم في عصرنا الحاضر نواجه تطبيقا متبعا باعتماد تعبير آخر . اننا نرى اليوم طلاب فن الحرب وهواته يواجهون دراسات كثيفة من بيانات وتعاليم في فن التعبئة والتمارين الحربية ودراسات قواعــد وأسس وشرع حربية متراصة لا عد لها دون أن ترتبط بأصولها التي قامت عليهـــا والتي نبعت من تجارب الحروب وتوثقت باختباراتها . فهم يتعلمونها كما يتعلم الببغاء الاقوال والالفاظ ويرددونها كمادة للحفظ والاستظهار . والحقيقة التي لا مراء فيهـــا

هي أن كل شرعة حرب مرتبطة ببيانها ، وان كل اساس هو متصل بطريقته ، وكلاهما يقوم على تحليل يترتب على اختيار الموقعة او المواقع التي جريا عليها . فالاجراء العملي هو ما اد ركه وتركز على أساس القرار الذي ثبت بالبرهان . وهذا البرهان هو ما اورده التاريخ في سياق الوقائع . ان التحليل العلمي للعمليات الحربية يمكنه أن يعطينا التطبيق الحقيقي للعمل ، وان التاريخ العسكري يمثل التحليل الفني لعلم فن الحرب، وان الانظمة التي نعتمدها ونتداولها عن ميدان الحرب ما هي الا البيان الذي نقرؤه بمختصر حدوده .

فالتاريخ العسكري يتناول دراسة اغلب مواقع الحروب ومعاركها التي حدثت عبر العصور بين مختلف الاقوام والشعوب ، هذه الوقائع التي دون التاريخ المذكور احداثها ، فكانت لمن عنى بها دروسا قيمة بليغة فيها المعرفــة والخبرة ، وفيها الامان والسلامة . لقد اوجب فن الحرب على العسكريين دراسة التاريــخ العســكري ، للتعرف على القادة الذين سيروا حركات حروبه وقادوا معاركها ، ومعرفة الاسس والقواعد والطرائق التي اعتمدوها ، والتعاليم والمبادىء التي تفرغت عنها وتبنوها . واسبابها وعلاقاتها ونتائجها الاصيلة . وكان القادة المتأخرون يدرسونها أو يتلقونها عن القادة المتقدمين ، وكان يتناقلها كابر عن كابر ، ويتعلمها قائد عن قائد حتى وصلت الينا فوجدناها بين ايدينا مصوغة جاهزة للدراسة والتطبيق دون جهد او عناء ، أو اختبار وامتحان . وقد جربها السابقون في حياتهم المسلكية ، فثبتت لهم صحتها ووجاهتها وتفوقها ، وفاز من عرفها واتبعها ، وفشل من حاد عنها او جهلها .

وهكذا فان التاريخ العسكري ليطلعنا ايضا على أسرار رجال الحــــرب وخصائصهم واخلاقهم وصفاتهم وميزاتهم ، اولئك الذين قادوا الجيوش وسيروا الجموع عبر العصور فنال الظافرون منهم الشهرة الذائعة والذكر الخالد والمغنم الوافر امثال الاسكندر الكبير المقدوني ، ويوليوس قيصر الروماني ، وجنكيز خان التاتاري وخالد بن الوليد العربي ، وفريدريك الاكبر البروسي ، ونابليون الكورسيكي ، وغوستاف ادولف السويدي ، ومولتكه الالماني ، وغيرهم من كبار القادة الذين قرأنا غزواتهم وفتوحاتهم العديدة .

ان دراسة قادة الحرب السالفين ومعرفتهم هما في الواقع من الموجبات الالزامية التي يفرضها فن الحرب على هواته الصاعدين الى مراتب القادة ومصاف كبار رجــال الحرب . كون القائد هو في الواقع الدعامة المكينة في كيان الجيش المحارب ، وهو الذي اما ان يوفر له اسباب النصر والغلبة ، واما ان يجره الى مسار الاندحار والهزيمــة . فالقادة العباقرة هم الذين بميزاتهم الفائقة حققوا الظفر ، ولولاهم لسار التاريــخ بحوادثه سيرة اخرى ، أو لوجه احداثه وجهة مخالفة . ولطالما تبينا وجود القائد الفــذ في الجيش المنتصر ، وتبدى الظفر يتقدم دوما خطوات القائد العارف القدير ، القوي المقدام المصمم العنيد ، المدبر الحكيم على مدى قريب ليمسك بتلابيبه .

فالناس في واقع الحرب على اختلاف في ميزاتهم ، فمنهم من خصتهم الطبيعة بمواهب غير متوفرة في غيرهم . ومنهم من حبتهم عبقرية فطرية متفوقة على سواهم ، فجعلت منهم قادة ورجالا مبرزين ، وهؤلاء هم قلة نادرة في حساب التاريخ ، وهم غالبا ما يعدون على الاصابع . يذكرهم الناس بخوارق اعمالهم وامجادها اعجابا وتقديرا . وهؤلاء هم الذين يصنعون التاريخ العسكري. بيد ان الاخرين هم الذين يصنفهم هذا التاريخ ويمدهم بمعرفته وخبرته . وهم حقا مدينون له بما تعلموه عنه، وما تفقهوا به من تعاليم وعبر دفعتهم قدما في سبيل التفوق والفوز ، ورفعتهم بامجادهم الحربية الى القمم التي تسنمها العباقرة المشاهير .

ان فن الحرب يبدو من الناحية النظرية سهل التناول ، يسير المـاخذ ، بيد انه من الناحية العملية متسع الحدود والاطراف ، عميق السير والغور . لا يحيطه ويستوعبه الا من امتاز بتجاربه الحربية ، وهذه التجارب لا يمكن اكتسابها الا في سياق الحرب الفعلية : وهكذا نرى ان التاريخ العسكري وحده هو الوسيلة المختارة لاكتساب خبرة الحرب العملية ، وتعلم فن الحرب الصحيح بدون حرب أو قتال .

أن دراسة التاريخ العسكري النظري الذي يتناول وقائع الحرب ، تظل بعيدة عما يحيط بالوقائع الفعلية من مؤثرات معنوية ومادية من شأنها ان تفقد المحارب كثيرا من هداة اعصابه ، وسلامة وعيه ، واتزان تفكيره . فالتاريخ العسكري هو في الواقع حقل اختبار بعيد عن المؤثرات العنيفة المذكورة آنفا . وهو يحمل بين دفتيه اختبارات وتجارب حروب العصور والقرون المنصرمة دون أن يكون في خوضها الدراسي مرة أخرى أي خطر متوقع .

لقد افاض نابوليون في مذكراته قائلا : ( ان لفن الحرب أسسا ثابتة لا تقبل التبديل والتعديل ) . ويقينا انه مهما تطورت الاسلحة والمعدات والوسائل الحربية ، فالحرب الايجابية الضاربة هي ولا ريب الحرب السائرة المتحركة مهما اختلفت العصور والازمان، والتي تضع قيد العمل والاجزاء اشكالا للمناورات والمواقع الحربية التي عنى بتطبيقها وتنفيذها كبار القادة العسكريين القدامى تجاوبا مع وسائل عصورهم التي عاشوها .

أن القائد الفذ هو الرجل المحارب الواثق من معرفته وقدرته وخبرته على تطبيق هذه الاشكال المعنية ، واختيار طريقة الاستفادة منها الافادة المطلوبة . والواقع يدعونا لتفهمها تفهما كاملا ، وان نلم بأسسها وقواعدها غاية الالمام وان نكتسب المران الكافي في اجادة تطبيقها وتنفيذها الصحيحين لان دراستها ومعرفتها لتهيىء الرياضة الحربية التي من شأنها ابداع سوقيين متمرنين ممتازين .

آن معرفة نظريات وطرائق الحرب لدى القادة لا تعني حكما دراسة كافة حروب هؤلاء دراسة تفصيلية شاملة ، فهي تؤلف عملا ضخما لا يستطيع الضابط العامل في جيوش العصر تداولها كلها ، ولا ان يجد الوقت الكافي للاحاطة بها اسبابا وتفصيلا . بيد ان الواقع يشير الى ان لكل حرب من الحروب المنصرمة فائدة يجب الافادة منها قدر المستطاع ، ونقصد بذلك الفائدة التاريخية والفائدة العلمية . فالفائدة التاريخية تفرض على الباحث العسكري ان يلم باهم مواقع كبار القادة الماما يتوخى دراسة خطوطها الكبرى .

ان الفائدة العلمية المتوخاة من دراسة نظريات القادة الاقدمين تتناول تعاليم السوقية الفنية بطرائقها واسسها وقواعدها التي يمكن ان نستخلص منها ما يتجاوب مع مستلزمات الحروب الحديثة . اما الفائدة التعبوية الخاصة بالقتال الحديث ونعني طرق استخدام مختلف الوحدات الحديثة النظم والتشكيلات واستعمال الاسلحة المتنوعة الضاربة في سياق حرب معنية ، بالمقارنة مع تعبئة العصور المتقدمة ، فهذه في نظرنا في حكم التناقص والتدني بمقدار بعدها عن هذا العصر ، وبمقدار نسبة تطور اسلحة القتال الحديثة ووسائلها . والواقع ان الفائدة العلمية المستخلصة من التعبئة التي تقدمت الحرب العالمية الاولى تكاد ان تكون معدومة الاثر اليوم ، وانه لا يهمنا من تعاليم تلك الوقائع التعبوية سوى الفائدة التاريخية . ان كل ما تشتمل عليه الحملات والغزوات التي تقدمت الحرب المذكورة من الفائدة التعبوية هي الطرائق فقط ، اي طرائق العمليات والحركات ، وطرائق المواقع والمعارك لانها تؤلف بحق طرائق معنية تكيفية ثابتة لنظام واستعمال القوى . وهي في طبيعتها متحررة من تعاظم القوى وضخامتها العددية والمادية .

بالاضافة الى ما تقدم يمكننا القول بأن دراسة الحروب لم تتحرر بعد من عقالها التاريخي ورباطه . والواقع الذي لا ريب فيه هو ان وقائع الحركات والعمليات الحربية الحقيقية لا تزال حتى يومنا هذا القاعدة المعتمدة للدراسات الحربية المفروضة . وهي في جوهرها الاساسي لا تهيىء سوى المواد البنائية الاولية التي تؤلف الركائز والقواعد ، واما ما يهم هواة السوق وطلابه هو معرفة طرائق العمليات الحربية التي قادها كبار القادة السالفين والمعاصرين .

ولطالما زعم بعض هواة فن الحرب خطأ بأن النصر يتوقف على قيمة الجندي وعلى قوة ارادة الامر ، وقد تناسوا بالفعل ان القوى الضاربة بكافة عناصرها لا تستطيع تحقيق غاية النجاح والفوز الا اذا جهدت كلها منسجمة في انجاح خطط الحرب السوقية والتعبوية التي تم ادراكها وفق اسس وقواعد فن الحرب ، شريطة ان تكون الامة المحاربة مرتبطة بشرعة حرب معتمدة تتجاوب مع احوالها واوضاعها العامة الراهنة .

وخلاصة القول أن مفهوم فن الحرب وعلاقته بتطور الوسائل يرتكزان على معرفة الوسائل الجديدة لتأمين عامل الفوز . ان معرفة هذا التطبيق يستوحى من دراسة التاريخ العسكري باحداثه ، وهو يظل المحرك المفضل لمضاعفة الادراك والخبرة والمرونة والرياضة في الابداع ، وتوفير دقة التفكير والتأمل لدى دارسي الاستراتيجية وممارسيها من قادة الفد .

ان التاريخ العسكري هو في الواقع تمهيد للتجارب الحربية المفروض توفرها لدى ممارسي فن الحرب ، ومن المؤكد انه وحده لا يمكن ان يحل محلها قط ، وما هو الاوسيلة من الوسائل المعتمدة اثناء السلم لتعلم قواعد الحرب وتعاليمها الثابتة استعدادا لتطبيقها ايام الحرب .

لقد الفينا اغلب القادة المشاهير القدامى والمعاصرين يدعون بالحاح الى العناية بدراسة التاريخ العسكري وحملاته وغزواته ومواقعه الحربية التي بلاها القادة الذين سبقوهم، سعيا وراء تعلم فن الحرب واكتساب خبرة الحرب دون الاضطرار الى خوض غمارها . ولطالما أشار نابليون الى وجوب الاستمرار في قراءة تاريخ الحروب قائلا : « على هواة الحرب أن يقرؤوا ويقرؤوا طويلا وبتعميق غزوات وحملات القادة السالفين عبر العصور كونها الطريقة الاصيلة المختارة التي تعلم رجال الحرب فن الحرب الاصيل المتفوق » .

**لو تكلم الموتى لكان التاريخ**
**مجموعة من الاكاذيب السخيفة**

**مارك، توين**

## ٢٠ • دروس من تاريخ العرب العسكري

ان للانتصار أسبابا جوهرية كما ان للهزيمة ايضا اسبابها الرئيسيـــــــة . ولا يتعذر تبيان هذه الاسباب وتوضيحها . اذا كانت المعرفة العسكرية والخبرة الحربية هما دليل الباحث ورائده في تقصي الحقائق المجردة . واذا كانت تحليلاته المختارة قائمة على روح المنطق وأساس الواقع بعيدة عن الميل والهوى .

والواقع أن اسباب الانتصار هي كاسباب الهزيمة تبدو على جانب من الاهميــة والخطورة معا حتى اذا تجمعت أولاها في قبضة قائد تمكن من امتلاك زمامها وناصيتهـا بدافع الادراك الصحيح والاختيار الموفق . فانه ينطلق معها الى دورة النصر . واذا مـا افلتت من بين يديه أسبابها لاعتماده النقيض في الادراك والاختيار واحاطت به الاسباب المناقضة الاخرى . فانه ولا ريب يسلك أسوأ السبل ، ويمضي معهـا دراكا الى قرارة الهزيمة. ان هذه الاسباب الكبرى الهامة سواء كانت أسباب انتصار او أسباب هزيمة فان من شأنها أن تستدرج تباعا كافة الاسباب الاخرى المتعلقة بها . والتي تؤدي حتما الى النصر المطلق أو الى الهزيمـــة المحققــة .

ويقينا ان اهم اسباب الانتصار هي : قوة العقيدة « أو القوة المعنوية » كمـــا نعرفها عسكريا ، ودرجة النظام ومتانة الانقياد ، وقدرة القيادة ومعرفتها وخبرتهـا . وعامل الخشونة والتقشف المألوف ، وتوحد الغرض والغاية.وروح الشعب المتأصلة في المقاومة . النابعة من تاريخه وطراز حياته ، واعتماد الواقع وتقديره بعيدا عن دوافع الغـــرور والاستهانـــــة بالخصــــم .

أما اسباب الهزيمة فهي على نقيض كلي مع الاسباب المتقدمة الذكر . وهي تكمــن في واقع ضعف العقيدة ، وتدني درجة النظام واختلال الانقياد ، وقصر القيادة وعجزها، والانحلال والتخاذل . وتشعب المقاصد والنزعات والاهواء والرغبات . وانحطاط روح الشعب الحربية لاسباب مباشرة أو غير مباشرة مما يتصل بتاريخه وحياته والعوامــل الخارجية المؤثرة . واخيرا عامل الغرور والاستهتار بقوة العدو وقدرته الفعلية والعملية. وعلينا . اذا رغبنا في تبين واقع الانتصار او واقع الهزيمة . ان نتحرى في كليهما كافـــة الاسباب التي اتينا على ذكرها فيما تقدم . فهي اما اسباب وجيهة تؤدي الى الانتصار واما اسبـــاب ردئـــة تسوق الى الهزيمــــة .

ولنتساءل الان بعد ايراد هذه المقدمه الوجيزة التي اشتملت على أهم الاسباب التي لها علاقة وثيقة بالنصر أو الهزيمة ، هل كان لهذه الاسباب الانفة الذكر ثمة علاقة أو اثر في انتصار العرب ، وهم على قلة وضعف بالنسبة الى الفرس والروم، سواء كان ذلك التدني في العدد أو العدة أو الوضع العام فلنتناول اذن بالتحليل الدقيق ما يرتبط بهذا الموضوع الهام . وما يتعلق منه بكل أمة من هذه الامم لنتبين اثر هذه الاسباب ومداها في نتيجة الهزيمة أو النصر .

اجل ! لقد كان الفرس، كما عرفنا عنهم من سيرة التاريخ، على صلف وغرور ، وكبرياء وغطرسة، واستهتار واستهانة بغيرهم . وكانوا يعتبرون العرب دونهم أصلا ومحتدا وكانت نظرتهم اليهم نظرة السادة الى العبيد الذين ، على زعمهم ، لا يطمعون في اسيادهم باكثر من الرضا والقبول ، والاقتناع والخضوع ، فان سايروا رغبتهم وركنوا الى الدعة والهدوء عمل هؤلاء على اكرامهم وأمن العرب عادية بطشهم ومكرهم ، وان تمردوا أو خرجوا عليهم ، عمد السادة العتاة الى اخضاعهم بالطريقة التي تروق لهم وترضيهم . وكان واقع العرب مع الفرس يشبه الى حد كبير حالة المغلوب مع الغالب، والحاكم المستبد الجائر مع المحكوم الخائر . وكان الفرس يانفون أن يستووا مع العرب نزلاء المضارب والخيام في الصحراء والبادية ، وسكان البيوت والاكواخ المتواضعة في المدن والقرى ، واخيرا عندما جد الجد بين العرب المسلمين والفرس اندحر هؤلاء على ما هم عليه من عنجهيات متأصلة وهزموا شر هزيمة ، فانهارت على اثرها قوائم عروشهم ، وتداعت أركان مملكتهم الكبرى وصاروا تبعا بعد سيادة ، ورعية خاضعة بعد تحكم متغطرس جائر .

وكان الروم أيضا على مثل غرور الفرس ازاء عرب البادية . وكانوا يرون فيهم قوما غزاة مشاغبين . لا مطمع لهم سوى الكسب والغنم ، ولا رغبة تتحركهم سوى دافع السطو والسلب ، وان الروم يستطيعون ارضاءهم بالهبات والعطايا اذا كنوا ولزموا ديارهم النائية ، والا فانهم ليواجهونهم بالقوة والبطش والقتال والحرب . اذن فالفرس والروم كانوا ينظرون الى العرب نظرة مماثلة لا تقام على اساس تقدير واعتبار . ولما وقعت الواقعة بين العرب والروم على قوتهم ، دحر العرب الروم ، وهزموهم هزيمة منكرة ، ولم تنفعهم جموعهم الجرارة ، ولا عدتهم الزاخرة ، وجلوا عن ربوع الشام الى الابد .

وعلل المؤرخون ما عن لهم التعليل اسباب هزيمة الفرس والرومان . فاسترسلوا في تعليقاتهم التي جاء اغلبها بعيدا عن الواقع . ولم يتلمسوا بياناتهم الاشياء الثابتة ، ولم يتحسسوا بها التحسس المفروض ، فلم تعرف الحقيقة المرجوة . فقائل منهم أن سبب هزيمة الفرس والرومان الحقيقي هو الانحلال والتخاذل ، وقائل اخر انها العقيدة الاسلامية القوية الراسخة ، وقائل ثالث انها المصادفة ، الى غير ذلك من

الاقوال ، ولكن كل هذه التعليلات الانفة الذكر جاءت ناقصة ، واستوت على هامش الحقيقـــــــة .

ويقينا انه قد تصاب دولة كبرى بالانحلال والتردي ، وقد نقل الينا التاريـــخ عديدا من هذه الاحداث ، ولكن هذا الواقع لا يمكن مثلا دولـــة دونها ان تأخذمكانهـا، اذا لم تتجمع لديها اغلب اسباب القوة والمنعة . واذا لم تتوفر لها عوامل النهوض والتقدم. ان فكرة الانحلال والتخاذل وحدها تعليل مردود ومشكوك فيه ، لعدم ارتكازه بالفعل على اساس واقعي مثبت . وكيف يمكن للدولة العربيـــة الحديثة الناشئة، اذالم تكن تستحوذ انئذ على المؤهلات والامكانات العلمية والعملية ان تتغلب على سطوة امبراطوريتين عظيمتين ملكتا الشرق والغرب ، وتحطم كيانهما القوي ، وتحتل مركزيهما في اهم بقعة من بقاع العالم ، وهما على ما عرفناه من عتـــو وبأس ؟.

وقد تكون العقيدة في أمة من الامم قوية . ولكن هذه العقيدة وحدها لا يمكنهــا ان تحقق الغلبة وتفوز بالنصر اذا لـــم تدعمها اسباب القوى الاخرى . وقد لا يجديها هذا التفوق المعنوي قط في حالة تدني قدرة القيادة او فساد الخطط. وهي وحدها لاتغني ابدا عن التهيؤ والاستعداد والمعرفة والخبرة ر مع العلم ان هذه العقيدة ذات شـــان عظيم خطير . وبدونها او عدمها يتعذر على اي جيش مهما تعاظمت قوته ، ومهما بلغت وسائله الحربية وتعددت ان يتغلب على عدو ذي عقيدة يملك مثل قوته او دونها نسبيا. بيد ان العقيدة القوية مع القوة الضاربة هي ذات اثر فعال بالغ،وذات نتيجة حاسمة في سياق النصر والظفر ، كما ان انعدامها او نقصها يقود الى الهزيمة والاندحار .لقـد اوشك المشركون يوم حنين أن يهزموا العرب المسلمين وهم على تفوق بالعدد والعــدة والايمان والعقيدة ، واوشك هؤلاء ان يصيبهم واقع الغرور والاستهانة ما اصاب الفرس والروم من هزيمة . اجل ان العقيدة ركن غالب متفوق والقوة عمادها القوي القاهــر، والتقدير الصادق حصانتهما ، ومعرفة الواقع امانهما ، والانتصار والفوز غايتهما اذا ظلا حقا على رباط واتحاد ، والهزيمة مردهما اذا صارا على تفكك وافتـــراق . واذا اعتقدنا غير هذا الاعتقاد فاننا نحاول ان نخدع انفسنا بانفسنا ، ونعمل على تجاهـــل نظام الامور وسياقها ، ونتصدى بذلك لقواعد العقيدة ونواميس القوة .

واخيرا هل يمكن ان تكون الغلبة العربية ايضا مجرد مصادفة عابرة كما يدعون وما اقل المصادفات في سياق الوقائع ومجراها ، ومـــا اندرها واقصر عمرها، فـــاذا وقعت ، وهي غالبا لا تقع،هذه المصادفة العارمة التي انطلقت من وسط الجزيرة العربية النائي ، فانطوت تحتها الاصقاع والفيافي ، وحملت على تخوم واراضي امبراطوريـــة الفرس الواسعة،واقتحمت جيوش بلاد فارس الجرارة ذات البأس والمنعة والقـــوة بامكاناتها وثرواتها التي لا تحصى ، وخاضت معها مواقع ومعارك عديدة انتهت كلهـــا بالغلبـــة والظفر واجبرتها بالقوة على الخضوع والاستسلام للعرب .

وهل يمكن ان تكون غلبة الروم في موقعة اليرموك ، وما سبقتها من المعارك المنفردة الظافرة ، وهزيمة جيشهم الجرار الذي بلغ اضعاف اضعاف جيش العرب الضارب ، هي ايضا من جملة المصادفة ؟ وهل كانت كل الفتوحات العربية الواسعة في مشارق الارض ومغاربها كلها سلسلة متصلة الحلقات من هذه المصادفة السعيدة التي لم تتوقف ولم تنقطع لحظة واحدة ؟ وهل قدر الخلود لهذه المصادفة العجيبة التي طال عليها العهد والزمن ؟ ان دعوى هذه المصادفة دعوى باطلة لا يقرها العقل ولا يقبلها المنطق ، وحري به ان يردها . والا يأخذ بها فن الحرب اصلا ، وان ينكر دعواها ايما انكار. وهي في عرفنا ان وقعت مرة فانها لا تتكرر مرة اخرى ، وليس لها اطراد في حكم الوجود ، ولا في نظام الحرب .

فليمض المؤرخون المغالون في تعليلهم للحوادث التاريخية العسكرية واسبابها مذهبا آخر ولينحوا نحوا علميا جديدا علهم يصلون الى لباب الحقيقة المطلقة اذا عن لهم ان يفهموا الناس وبالتالي حقيقة انتصار العرب ، وحقيقة هزيمة الفرس والروم . وان الحقيقة الراهنة في انتصار العرب واضحة المعالم بعيدة عن كل التباس واشكال. انها عوامل اساسية طالما غفل عنها اكثر من مؤرخ وكاتب ، انها حقيقة الاعتراف بخبرة العرب بالحرب ومعرفتهم بقواعدها ، وقدرة القيادة العربية البارعة العارفة ، وجودة التنظيم والتخطيط الفائقين ، واجادة حركات السوق الرائعة ، وتطبيق قواعد التعبئة الحربية تطبيقا متفوقا جهله قادة الفرس والروم جهلا فاضحا ، وما كان ادعاء تفوقهم في فن الحرب واصول القتال على العرب الا وهما خاطئا ، وضلالا مبينا .

واننا لنكرر القول ونحن على يقين ثابت من ان اسباب انتصار العرب المسلمين كانت غير الاسباب التي تخيلها او اعتقدها بعض المؤرخين والكتاب العرب وغير العرب وهم عديدون . لقد تغلب العرب المسلمون على اعدائهم الاقوياء بكثرة العدد والسلاح لانهم كانوا في الحقيقة اعرف منهم بقواعد الحرب واصولها واكثر تدبيرا . وكانوا اقدر منهم على وضع وتنظيم الخطط الحربية وتنفيذها . وكان قادة العرب بالفعل ابرع وامهر من قادة الفرس والروم في فن الحرب وسوقيتها وتعبئتها . لقد فاز العرب على اعدائهم وانتصروا بأسباب التفوق الصحيحة والعقيدة وبحكم تفوقهم الحربي الفني ، وخبرة قادتهم ومعرفتهم الوافية باصول الحرب وقواعدها ، وتقديرهم وادراكهم الوافيين لاحوالها وسيرها دون ما غرور او استخفاف بقيم العدو، يضاف الى هذه العوامل الغالبة القاهرة سلاح العقيدة الجبار العامل في صدور العرب ، المتأجج في نفوسهم بقوة وهكذا تغلبوا وانتصروا ، باذن الله ومعونته ، ونزلوا بعدوهم الاندحار والهزيمة .

واننا تأكيدا لما اوردناه من بيانات موجزة عن اسباب انتصار العرب المسلمين وهزيمة الفرس والروم ، نود ان نقدم معها القرائن المثبتة الواضحة لتقويم الآراء الخاطئة ، وتصحيح التعليلات الواهية التي قامت على دلائل لا تمت الى الحقيقة بصلة

ثابتة وثيقة . لقد اعتقد بعض المؤرخين ان العرب ، وهم سكان الصحراء والبادية لم يكونوا سوى شراذم وعصابات ، وما عرفوا نظام الحرب الذي عرفه غيرهم من شعوب الدول المجاورة ذات الجاه والثراء والقوة والنظام ، وما الفوا مناهج العمليات الحربية الواسعة التي اعتمدها الفرس والروم ، ولا اتقنوا من أساليب القتال والحرب سوى الحركات والعمليات الحربية المحددة من كروفر ، وسطـــوا وفرار . ويقينا ان الصورة التي تبينها هؤلاء الكتاب عن حرب الصحراء ، وغارات البادية وغزواتهـــا ما كانت صورة صادقة واضحة المعالم يستطيع ان يبصر الناظر من خلالها حقيقة نظام واصول حروب الصحراء، صغيره كانت او كبيرة . وكان استرشادهم بها تصوروا محاطا بالابهام والغموض من جراء نقص المعرفة .

كان العربي في الصحراء يعيش عمره كله على اهبة واستعداد لرد العاديـــات والاخطار والمفاجآت والاعتداءات عن نفسه واهله وبيته وعشيرته وحماه . وكانـــت الصحراء على سعتها وانفرادها مواطن الغزو الدائم بين عشيرة وعشيرة وقبيلة واخرى لاسباب متنوعة ، اما ان تكون بسبيل عوز او حاجة مفلم او كسب او منازعات او ثارات او عدوان داخلي او طغيان خارجي . وهذه الاحوال التي ما كانـت لتستقـر على قاعدة من شأنها ان تقود الناس الى القتال ، اما دفاعا عن النفس ، واما اعتداء على الغير . وهكذا ظلت حياة العربي في صحرائه حياة جندي مرابط على تأهب مستمر وعلى اهبة دائمة ليل نهار ، يستعد لكل حادثة ومفاجأة ويتأهب لكل عادية وطارئة .

لقد الف العربي حياة البداوة ، هذه الحياة القاسية المريرة في طبيعتها بحكم واقعة الذي لا مفر له منه . وتبدت له في سياقها حياة طبيعية مألوفة لايملكها ولا يأنفها، تمرن عليها بقسوة ، وتدرب عليها بمهارة حتى صارت عنده رياضـــة محببـــه يهواها راغبا ، ويسعى اليها مختارا . لقد تعاظمت في كنفها طاقته البالغـــة على الصبر والجلد ، والاحتمال والمقاومة ، والجراة والشجاعة ، والخفة والمران . واعدته اعدادا فائقا لخوض غمار الغارات والغزوات والملاحم . ولم يترك ضربا من ضروب القتال الا واخذ منه بقسط وفير ، ولا شكلا من اشكال الكفاح الا وحـــذق فيه وبرع الى حد كبير . واعطته هذه الحياة مواهب الجندي الجسمية العتيدة والفكرية النامية ، وجعلت منه جنديا بارعا بعيد المنال .

فالعربي كان في طبيعته الفردية فدائيا مغوارا لا شبيه له بين الفدائيين والمغاوير وتميزت فيه قدرة الكفاح وحيلة البقاء . فهو يقاتل بعزم وضراوة ليقتل لا ليقتل .

وليعيش لا ليموت ، وليعود الى اهله واولاده سالمـا ليحميهم ويرد عنهـم عادية الغوائل الطارئة .

واعتمد في غمرة هذه الدوافع كلها نظام الكر والفر ، فان كر فهـو على قوة ، يريد قهر عدوه وابادته ، وان فر ، فهو على ضعف يحاول ان يستمد قوة بالاختفاء لكي

يعود فيمابعدالى الكر واستئناف القتال . وكان في الواقع مهاجما دوما سواء مقبلا كان او مدبرا ، طامعا في الغلبة او لائذا بالفرار ، وجل غايته الفوز والظفر .

لقد اوصت الانظمة العسكرية حتى الحديثة منها ، الجندي وهو يخوض القتال هجوما أو دفاعا: «أن يرى ولا يرى،وان يقتل ولا يقتل،لان الجندي الذي يظل على قيد الحياة يوفر جنديا على جيشه ، وينقص جنديا من جنود عدوه ، والغلبة هي اخيرا لمن يعيش والهزيمة لمن يموت » . فهل هذه التوصية النظامية القيمة تختلف في معناها ومفادها عما اوصى به البدوي نفسه وهو يمارس القتال في ميدان الصحراء ؟ .

فالكر والفر في عرف نظام القتال عند العرب عمليتان وان اختلفنا في شكلهما وسياقهما ، الا انهما ترميان الى غاية واحدة وهي حالة التفوق في الكر ، وتأجيل التفوق فيحالة الفر لمناسبة اجدى. فالاغارة عندهم مع المران لا تتم اعتباطا،بل انها تستند الى اصول فن حركات الاستطلاع والتدبر والمظاهرة والمخاتلة والهجوم والاقتحام مع الاحتياط لحساب التراجع والانسحاب . وهي في واقعها وعلى بساطتها نظام ينطبق على كافة الميادين ، صغيرها وكبيرها على السواء ، وتعتمدها كافة الجيوش بدون تمييز بين كبيرها وصغيرها . اذن ، فنظام الهجوم عند العرب لا يختلف عنه في الامم الاخرى ، الا من حيث تفوقه بالسرعة والحركة اللتين هما عاملمن عوامل المباغته والمفاجأة . وما كان الفر عندهم غير التراجع او الانسحاب النظامي عند غيرهم ، اللهم اذا ماتحول عند غيرهم الى اندحار وهزيمة ، بينما هو عند العرب اهبة واستعداد لهجوم منتظر اكثر ملاءمة وموافقة وكان العرب في عملياتهم يجيدون ويحرصون على تنفيذ كافة الاصول الحربية وقواعدها وتطبيقها دراكا من تأهب واستعداد وكشف واستطلاع وتنظيم وتخطيط واتقان الحركات السوقية وعمليات التعبئة والمطاردة والالتفاف والتطويق وتمكين القوة المعنوية في النفوس واضعافها لدي العدو . وهذا التدابير كلها هي بالفعل صفوة عناصر قواعد الحرب والقتال في كل عصر وزمان . وهي اليوم كما كانت عليه في الماضي البعيد .

ولقد برع العرب كما برع غيرهم في فن الحرب ، ولم تخف عليهم خافية في اصولها وقواعدها . فتعلموا من طبيعتهم الصحراوية ما يتناسب وحروب الصحراء والبادية كما تعلموا عن الدول الكبرى التي كانت تجاورهم قواعد الحرب النظامية التي اعتمدتها جيوشها وقواتها . وكان كثير منهم مجندين في صفوف الفرس والروم ، فاقتبسوا عن الاخرين بفعل القدوة انظمتهم الحربية وقواعدها واصولها ، يعتمدون منها ما يعينهم على تطبيق التعبئة النظامية ليقابلوا بها تعبئة الجيوش الاخرى النظامية واتقانها . وما تعذر علىالعرب قط تسيير القوات العديدةالتي بلغتعشرات الالوف. وقد سبق لهمان ابلومثل هذهالسوقيةومارسوها عمليا باعداد كبرى بالنسبة الى ذلك الزمن . بيد أن عمليات الصحراء وواقعها وطبيعتها وشروطها ما كانت لتطلب دوما سوق مثل هذه الاعداد الكثيفة الهامة .

وقد اورد لنا التاريخ سيرا متعددة عن هذه الوقائع الهامة كموقعة ذي قار مثلا ، التي انتصر فيها العرب بقلتهم العددية على كثرة الفرس انتصارا بالغا ، وتبينا من سيرة تلك الموقعة ان قادة العرب فاقوا ببراعتهم الحربية وخبرتهم ومعرفتهم بقواعد واصول الحرب والسوق والتعبئة النظامية كبار قادة الفرس . ورأيناهم لا يهملون تدبيرا حربيا ، ولايتركون حيلة من حيل الحرب الا اتبعوها قبل وقوع الالتحام والقتال . وما قصروا قط في اجراء كشف واستطلاع ورصد ومراقبة ، واعتماد تشكيلات تعبوية نظامية كانت في حقيقتها على غاية من الاتقان والدقة ، وتطبيق نظام توزيع القوى باوضاعه المرتبة من توضيع مقدمة ومؤخرة ، وميمنة وميسرة ، واجنحة وجوانب ، ومركز وقلب ، واتخاذ تدابير أمن وحماية ، والقيام بحركات التفاف وتطويق ، واختيار قيادة معروفة بخبرتها تدعمها المشورة الحربية ، بتنظيم فطري مبدع خلاق يثير الدهشة والاعجاب . واعتمدوا بالتالي تعبئة فذة ازاء تعبئة الفرس الكثيفة حيث اعرضوا فيها عن نظام الانساق الخطية ، وتكردسوا عمقا لتعزيز قوة الصدام ، وعاجلوا العدو باللقاء الثابت العنيف ليوهنوا منه العزيمة ، فحاقت بالجيش اللجب عوادي الاندحار والهزيمة ، وانتصرت القوات العربية الضاربة لانها اعتمدت كافة المرجحات الحربية التي جاء بها فن الحرب الاصيل . ولم تنفع الفرس كثرتهم وعديدهم وعدتهم الثقيلة العديدة ، وافيالهم وعجلاتهم لانهم اغفلوا تلك المرجحات واهملوها ، واستهانوا بقوة العرب ولم يحسبوا لها حسابا ، ولم يقيموا لقدرتهم وزنا ، فلم تنقذهم كثافة الاسلحة والعدة ، ولم ينجدهم نظامهم وانتظامهم لان العرب اتخذوا لقاءها التدابير التعبوية التي ضمرت معها كثرة العدو ، وضعفت حدته ، وعجز عن استغلال وتوسيع قدرته الضاربة .

ويقينا ان العرب الذين برعوا اقصى البراعة في حرب الغارات والغزوات التي تمرنوا عليها طويلا مرانا وافيا ، برعوا ايضا في الحرب النظامية . وكان في مقدرتهم، بفعل مرانهم الكافي ، ان يعتمدوا النظامين التعبويين وفقا للاحوال والظروف المواجهة وقد اضافوا عاملي السرعة والمفاجاة الذين الفوهما في حروب بالصحراء الى التعبئة النظامية التي اعتمدتها الجيوش المنظمة. وهكذاعهدناهم يقاتلون على طريقتين متعاونتين وبموجب فنين متساندين،يأخذون من كل منهما ما يلائم نظام القتال القائم بتفوق وبراعة بينما كان اعداؤهم على النقيض من ذلك ، يتقيدون بنظامهم المعتمد الذي لا يستوي أمره وشأنه الا ازاء نظام مماثل . وحق للعرب بعد هذه الفطنة القائمة على وفرة الذكاءوجودة التدبير أن يتفوقوا على اعدائهم ويهزموهم .

واذا اضفنا بالتالي الى مواهبهم العسكرية الطبيعية . براعتهم في فن القيادة ومعرفتهم بأفانين السوق والقتال وما يتعلق بهما من ترتيبات واجراءات اجادوا تطبيقها اجادة كاملة ، ومبلغ تدريبهم ومرانهم ، وقدرة احتمالهم الجسماني ، وخصائصهم الفائقة من خفة ، وحركة ، وفروسية وبطولة ، ومرونة وحيلة ، وشجاعة وجراة ،واقدام واندفاع وثبات وصبر على المكاره والاهوال ، ومقاومة وجلد وصبر ، على اعراض الطبيعةلتوجب

علينا حكما ان نعترف لهم بعامل التفوق ، ونؤكد بالتالي ان الجندي العربي كان بالفعل اصلب عودا ، واقوى مراسا ، وامضى شكيمة ، واصبر على القتال،واقدر على النضال واجلد من اي جندي اخر عرفة التاريخ العسكري منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا.

وبالفعل فقد كان العربي المحارب او البدوي المقاتل ، بواقع حياته ومعيشته التي الفها ، على جانب كبير من اتقان التدريب الذاتي ، والفروسية الفردية والكفاح المنفرد . واكتسب بمرانه الدائم المستمر صفات الفارس المغوار والمحارب العنيد . والتدريب الفردي ، كما نعلم ، هو اساس كل تدريب في الحياة العسكرية والحربية،وعلى جودته وكمالة تتوقف قدرة الوحدات الضاربة العملية ، صغيرة كانت او كبيرة،لان مجموع الافراد المدربين هم الذين يؤلفون في الحقيقة كتلة الجيش المدرب. فالجيش المدرب تتمثل حقا بافراده المدربين،وبهم تتجلى قوته الكامنة وقدرته الضاربة. فالجندي المرن المدرب يتغلب حتما على الجندي الذي اعوزه التدريب ، والجيش الذي تدرب افراده التدريب المفروض يغلب حكما بالجيش الذي تدنت عند افراده سوية التدريب الفردي.

ولطالما اثبتت وقائع الحروب القديمة والحديثة صحة هذه الظاهرة الهامة. وماقصر القادة النابهون في بذل العناية واقصى المجهودين اجل تحقيق هذه الغاية البالغة الاثر. لقد لاحظنا في الحربين العالميتين الاخيرتين ان جنود الالمان كانوا على تفوق مطلق،وميزة ظاهرة في كل قتال ضار وقع بينهم وبين خصومهم لانهم كانوا على مستوى عال من التمرين والتدريب .

وخلال اطلاعنا ومشاهداتنا ، طالما تبينا عظيم العناية التي يوليها كبار قادة العلم العسكري لجيوشهم من اجل التدريب العسكري الفردي وايصاله الى درجة عالية وكيف يبذلون قصارى الجهود في هذا السبيل باعتماد ضباط اكفاء لاعداد جنود مدربين قادرين على خوض القتال بمعرفة ومران . وهل اختلفت الغاية التي يسعى اليها قادة الجيوش الحديثة ويوصون بها ، ويعملون من اجلها حثيثا ، عن الغاية التي اعتمدها في تدريبه الذاتي العربي البدوي المحارب الذي غلب وقهر في الجيوش الجبارة الجرارة ، وراض نفسه عليه مع اقرانه ورفاقه عبر الصحراء وفوق البيداء ليكون بحق المقاتل القوي المكافح الغالب ، والمحارب العنيد المكافح الضارب ، والكمي المعلم الرامح وبكلمة موجزة المحارب الذي لا تقعده همة ، ولا تفوته مهمة في سبيل تدعيم عقيدته الراسخة ، ومن اجل اعلاء مجد امته الخالد .

واخيرا فالتاريخ العسكري يطالبنا ونحن نكتب تاريخ امتنا العسكري وامجادها الحقيقية ، ورائدنا تعريف قادة ورجال الامم بعظام قادتنا ورجالنا وبطولاتهم وعبقرياتهم بأن نوضح الحقائق كما هي ونعلنها لمن غفل عنها . فالتاريخ العسكري في واقعه ومفهومه لينكر كل تعليل وتفسير بعيدين عن هذه الحقائق ، وهو لا يعتمد الا صادق الاقوال والاراء ولا يقر الا سائغ العلل والاسباب ، ولكن ثمة مؤرخون يعمدون قصدا او تحيزا الى تشويه

سياق الوقائع وأسبابها ونتائجها الصحيحة لغرض أو غايــة في نفوسهــم. وإذا كان التاريخ مصداقا للحقائق . فان التاريخ العسكري يفرض تحري الحقائق بصورة أوفى وأصدق. ومقومات التاريخ العام اذا أخطأت حقيقة وزاغت عن الصواب فلا خير فيها، بيد أن مقامات التاريخ العسكري التي تبنى عليها التجارب وتؤخذ منها العبر. لهــا خطورتها البالغة وأذاها اذا لحقها الذلل وأصابها الخطل .

وخلاصة القول.لقد انتصر العرب على الفرس والروم وغيرهم من الامم لانهم تبينوا بعقولهم المدركة عوامل الانتصار . وقبضوا بأيديهم القوية على أعنته . وتمسكــوا بأسباب الفوز والظفر. وما كان انتصارهم مجرد نتيجة الانحلال الذي كان يحيــط بأعدائهم . ولا كان بادرة مصادفة ولا ظاهرة حظ سعيد . ولا تغلب عقيدة فحسب،بـل شيءآخر اهمية لدينا من الوجهة العسكرية والحربية ، هو التفوق العام في مطلـق الاسباب والعوامل الراجحة التي حققت لهم النصر . وجرت على اعدائهم عادية الهزيمة. وكانت هذه الاسباب والعوامل ناقصة فيما سبق . ولكنها منذ ان تكاملت،تغلبوا ولكـن بوسائل الغلبة جميعها . وكانوا قبلا فرقا وأحزابا شتى . فجمعت الدعوة الاسلامية النيرة فرقتهــم ، ولمت شتاتهــــم .

وما كانت لهم غايات واهداف معينة . فأوضحت لهم غاياتهم وأهدافهم الكبرى وسيرتهم في السبيل القويم ، وفرضت عليهم العمل بالاخوة البارة بين الناس ، واقامة سنن العدل ، وتوطيـد شعارات الانسانية الصحيحة بين الشعوب ، ونشر الحضارة العربية الاسلامية الجديدة في رحاب الدنيا وارجائها ، واعمار الارض وتوطيد الصلاح فيها ليعيش البشر في دعة وهناء ، وراحة واطمئنان وأمن وسلام .

# أسس الحرب القديمة والحديثة



## ٣ . أسس الحرب القديمة والحديثة

**قد تبدع الدراسة العلماء ، ولكن الطبيعة وحدها تبدع كبار القادة ( نابليون )**

- ان أسس الحرب معدودة لا تتجاوز اصابع اليد ،
- انها سهلة القراءة والفهم والحفظ ،
- صعبة التطبيـــق في سياق الحـــرب ،
- تطبيقاتها تستوجب الدراسة مدى الحياة ،
- اعتمادها ضمانة ، واغفالها خسارة ،

اسس الحرب هي تلك القواعد الحربيـــة الاصيلة الثابتة التي اعتمدهـــا كبار عسكريي العالم في حروبهم أمثال الاسكندر المقدوني ، وهاني بعل القرطجي ، وسيزار الروماني ، وغوستاف ادولف السويدي ، وتورين ونابليون وغوش الفرنسيـــين وفريدريك الاكبر ومولكته ولودندورف الالمانيين ، وخالد وطارق وعقبة بن نافع مـــن العرب ، وغيرهم ، ويقينا ان هذه الاسس في واقعها ثابتة صادقة كأسس المعادلات الرياضية والقوانين الطبيعية على الرغم من كونها ادراكات بشرية ، لم تعترها ظاهرة تحوير في نظامها ، ولا تناولتها بادرة تطور في جوهرها طوال القرون والعصور المنصرمة، وما تزال هي بذاتها حية قائمة معتمدة ، حتى في عصرنا الحالي وايامنا الحاضرة

لقد نقل الينا التاريخ مجموعة من الحملات والغزوات العسكرية التي ضمنت قرابة تسعين موقعة ومعركة حربية كبرى ، دوّن تفاصيل وقائعها المؤرخون العسكريون بدقة وعناية ، واخرجوها لمن سيأتي من بعدهم واضحة مبينة . وهي في الواقع تؤلف دراسة وافية لفن الحرب وتعاليمه وقواعده العديدة . المفروض على العسكريين الاقتباس منها ، واعتماد اسسها في مختلف الاحوال والظروف الحربية الهجومية أو الدفاعية ، والتي تنبثق منها تلقائيا ينابيع المعرفة والخبرة والمران على الحرب .

ان قراءة حملات كبار القادة العسكريين المذكورين انفا ، قراءة وتفهمها تفهما عميقا ، واستخلاص ما يفيدنا منها ، هي طريقة مثلى التي يمكنها اعداد العسكريين اعدادا تاما ليكونوا قادة كبارا ، وهي التي تعينهم ايضا على كشف اسرار فن الحرب ، وتبين لهم تعاليمه ومفاهيمه التي هم في حاجة الى معرفتها معرفة وثيقة .

واذا عاينا الاسس التي وضعها واعتمدها اولئك القادة المشاهير ، ادركنا انها كلها تستوحي الفكرة ذاتها وتكاد ترمي الى الغاية ذاتها ، وانها كلها متشابهـــة في جوهرها ، متماثلة في طبيعتها وخصائصها العسكرية والحربية . اننا نرى مثـــلا ان الاسس التي اعتمدها القائد سيزار تشبه تماما الاسس التي أبدعها القائدان الاخران اسكندر الكبير وهاني بعل من وجهة نظر تعاليمها التالية :ـ

أ ـ المحافظة على ارتباطات قوات الجيش المحاربة والضاربة .

ب ـ ابعاد الاخطار أو احتمالاتها عن الانجاهات الحربية الذاتية .

جـ ـ التقدم بسرعة لاحتلال أهم النقاط التعبوية لاسقاط النقاط الضعيفة .

د ـ تقدير القوى والوسائل المعنوية ذات الاتجاه المتفوق .

هـ ـ المحافظة على قدرة الجيش وقوته ، وتمكين عامل التأثير الفعال الذي يمكن ان يحدثه على معنويات العدو لاضعاف طاقاته المادية .

و ـ تدعيم الوسائل السياسية القوية لامكان الاحتفاظ بموقف الحلفاء ، واجبار الاعداء المغلوبين على الانقياد والخضوع لارادة الغالب .

وليس من العسير ان نستخلص من الشواهد السابقة ، اسس الحرب الهامة التاليـــــــــــــــــة :

١. اساس الحشـــــد .

٢. اساس الامـــــن .

٣. اساس الهـــدف .

كما انه من السهل ان نتبين بالتالي أن هذه الاسس ليست حديثة ، واننا لنجدها بارزة في موقعة لوكترس اليونانية عام ٣٧١ ق.م ، التي اعتمد فيها القائد الطيبي ايبامينونداس اساس الكتل وذلك اثناء حشده كتلة قواته الضاربة كلها ضد نقطـــة العدو الضعيفة ، كما ان عمليات التراجع الحربية عام ٤٠١ ق.م ، التي اتبعها القائد اليوناني كزانيفون حيث بلغت قواته انئذ قرابة عشرة الاف مقاتل ، كانت بالفعل مظاهرة لنظام وتشكيل وتسيير المؤخرات .

ونرى ايضا أن عملية الاختراق التي قام بها الاسكندر الكبير على أربيلا في عـــام ٣٣١ ق.م وحركات الالتفاف والتطويق الواسعة التي ساقها ايضا على هيداسبس عام ٣٢٦ ق.م والتي تشبهها الى حد كبير الحركات التي اجراها القائد الامريكي هوكر فـــي حركة الالتفاف التي قام بها فيلق هاينزلمان في الموقعـــة الاولـــى المساماة «بول ران» الامريكية في حروب الاستقلال عام ١٨٦١ ، والحركات التي اتبعها نابليون في عبـــوره جزيرة « لوباو » عام ١٨٠٥ م. وموقعة « كانا » التي قادها هاني بعل عام ٢١٦ ق.م، كعملية تطويق مزدوج ، وموقعة ابادة كبرى ، والتي ابدع مثلها القائد الالماني الشهـــير فون مولتكه في موقعة « كونيغراتز » في النمسا عام ١٨٦٦ . باعتماده نظام حركـــات الجيوش المتلاقية ، وموقعة « تانبزغ » الشهيرة التي قادها القائد الالماني المعـــروف لودندورف على الجبهة الشرقية في مطلع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ ، بقيـــادة القائد العام فون هندنبورغ ، وموقعة المارن الاولى التي اشرف على سوقها القائـــد الالماني فون مولتكه الصغير في تلك الحرب ، والتي اسيء فيها تطبيق خطة شليفـــن التطبيق الموجب من حيث اقتصاد القوى وتوزيعها ، كل هذه الحركات والعمليات الكبرى سيرت بموجب اسس حربيـــة معروفـــة .

اذن فما ما هية تلك الاسس الهامة التي امكنها السيطرة على سياق تلك المواقع الكبرى الظافرة ؟ لنرجع الى الوراء بعيدا ، الى ايام القائد الصيني الشهير سن سو الذي ترك لنا عام ٥٠٥«٤٩٤ ق.م اقدم دراسة عسكرية لتعاليم فن الحرب واسسه وقواعده ، والتي عرفت بياناتها المدونة في العالمين القديم والجديد . ثم لنستعرض تباعا صفحات التاريخ العسكري حتى عصرنا الحاضر باعتباره نقطة انطلاقتنا الراهن . ولنعاين ونستطلع بيانات انظمة الامم العسكرية الكبرى كالمانيا وامريكا وفرنسا واليابان وروسيا والصين تلك الانظمة التي استطعنا أن نجد في منطوقها الاسس الحربية التاليـــة وهـــي :

١ ــ الهـــدف .
٢ ــ الهجـــوم .
٣ ــ الكتـــل .
٤ ــ اقتصـاد القــوى .
٥ ــ الحركـــة .
٦ ــ المباغتـــة .
٧ ــ الامـــان .
٨ ــ التبسيـــط .
٩ ــ التعـــاون .

ان هذه الاسس هي في الواقع ثابتة القواعد والاصول ، وغير قابلة للتطور والتبدل وهي تمثل بالفعل القواعد الحربية الراهنة التي اعتمدتها القيادات العسكرية العليا في مختلف الدول الكبرى،والتي تدرجت بموجبها حركاتها وعملياتها الحربية . وكانت عامل ظفر او سبب اخفاق تبعا لدقة التقيد بها وانجازها وفق مهوم قواعدها . أو اغفالها والانحراف عن تعاليم سياقها الطبيعي . انها ليست عرضة لتعليلات وتأويلات فحسب، ولا هي موضع التباسات وشواذ محتملة . انها في ذاتها صادقة كالبرهان ، بينة كوضح الشمس ، لا يمازجها زيغ ولا يخالطها خطأ . انها القواعد المركزة التي يؤلف تطبيقها الصحيح الخاص بها الاجراء الحقيقي الذي يفرضه فن الحرب وتعاليمها .

لقد حرصنا على توضيح الاسس الحربية المذكورة بغية اعطاء الباحث الفكرة الصحيحـــة عنهمـــا .

**١ ــ الهـــدف :**

ان غاية العمليات الحربية الضاربة ترمي الى دفع وايصال القوة الضاربة الى لهدف المعين المختار . ويتوقف اختيار الاهداف المطلوبة على الشروط السياسية والعسكرية والاقتصادية الراهنة التي تختلف في واقعها وقوتها وتأثيرها اختلافا متفاوتا . بيد أن القواعد العامة المتعلقة بها ستدعي الاعتبارات التالية :

أولا : ــ ابادة وتدمير القوى العسكرية المادية والمعنوية المقابلة ، ويعني ذلــك بصورة خاصة واقع دحر قوات العدو الرئيسية واخراجها من مجال القتال .

ثانيا :ــ احتلال واشغال الاماكن التي من شأنها ايصال القوات الصديقة الــى الاهداف المعنية ، او على الاقل ان تمهد لها سبيل الوصول الى تلك الاهداف .والمفروض في هذا الواقع ان يتجاوب مع الهدف الوطني القومي تجاوبا منسقا .

## ٢ ــ الهجــــــوم :

ان العمل الهجومي يكتنف الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها تحقيق القرار. ان غاية النصر ترتبط ارتباطا وثيقا بنجاح الهجوم ، بينما الدفاع يجهد في ابعاد واقــع الهزيمة عن القوة المرابطة . ان الطريقة العملية المثلى في متابعة العمليات الحربية هي تقرير الهجوم لغاية تحقيق عمل بالغ الحد ، وفق اتجاه حاسم. والواقع ان العمــل الهجومي يعتمد على الدفاع لمؤازرته في مكان اخر . فالهجوم يمهد لتحقيق الميزات الكبرى التي يمكن الافادة منها عندما تكون الوسائل الموضوعة قيد التصرف ، كافية وافية مــن اجل امكان تحقيق بواعث النجاح المؤمل ، وتأمين الفــوز .

## ٣ ــ الكتــــــــل :

يشتمل اساس الكتل على مجموع القوات المسلحة بعدادها ووسائلها واسلحتها ومعداتها المادية ، وقدرتها المعنوية ومهارتها التعبوية ، وخصائصها العسكرية المتميزة، ودرجة اعدادها وتدريبها وبراعة قيادتها ومهارة أركانها . وهذه العناصر والعوامــل والوسائل كلها تؤلف طاقتها ( أي قوتها وقدرتها ) العسكرية والحربية الضاربة. ويقينا ان النجاح في الحرب والقتال يرتبط بحسن استعمال واستخدام القوات المذكورة وفق جهد موحد ، واتجاه رئيسي معــين .

## ٤ ــ اقتصــاد القــوى :

يفيد مفهوم اقتصاد القوى استخدامها المجدي الفعال في حيز الزمــان والمكــان المعنيين ، وتبعا لمتطلبات الحرب ، شريطة تخصيص ما يلزم منها بدقــة لكــل ميدان اساسي او ثانوي ، واستعمال الكتل الاساسية للعمل الرئيسي ، والاقتصار على اقــل ما يلزم منها للعمل الثانوي ، والاحتفاظ بالتعداد والوسائل الاحتياطية ، او المعنية لمهمة محدودة الغرض لسوقها في اتجاه رئيسي عند الاقتضاء وفي الوقت المفروض .

### ٥ ــ الحركـــــة :

يفهم بالحركة هنا تعبير المناورة ومفادها ، وتداول الوسائل والعناصر المختلفة في سياقها التداول المفضل لتحقيق غاية التفوق والفوز النهائي .

### ٦ ــ المباغتـة ( المفاجـاة ) :

ان المباغتة هي شرط أساسي يرمي الى تحقيق أقصى التأثير والفعالية بأدنى الجهد واقل الخسارة . وهي تقوم على عوامل اساسية أهمها السرية والسرعة والتحضير والانجـــاز .

### ٧ ــ الامـــان :

يكتنف الامان مختلف الاجراءات الحربية المعتمدة لاتقاء محاولات العدو ، وشل فعالية المراقبة والمباغتة لديه ، وتحاشي مواجهة الاعراض المعادية الصادرة عنه ، والمحافظة على قدرة وحرية العمل المنشود اللذين هما في الواقع من صلب الاجراءات والعمليـات الحربيـــة .

### ٨ ــ التبسيـط ( الاختصار والوضوح ) :

التبسيط مفهوم نسبي يفيد تسهيل اتخاذ القرارات الواضحة ، وتحقيق البيان المختصر الموجز ، وهذا يعني وضع التخطيط العسكري الواضح المبسط الذي لا يثير اي اشكال أو التباس لدى المنفذين ، واقصاء كل ارتباك واضطراب في الحركات والعمليات الحربية . ويفرض أن تكون الاوامر واضحة لتفهم بسرعة ، سهلة الادراك ذات صفة مباشرة خالية من كل الحلول والتأويلات والاحتمالات غير المنتظرة أو الواردة وبعيدة عن الزامية التعديل العارض ، والتفسير المحتمل مع المحافظة على وحدة القيادة المركزيـــة .

### ٩ ــ التعـــاون :

يعني التعاون الحربي ، الزامية مساهمة كافة القوى والوسائل والعناصر العاملة في نطاق مشترك للاسهام في انجاز مهمة موحدة مشتركة . وينبغي للوصول الى هذه الغاية تحقيق تناسق الاعمال وتجاوب المهام . وهذا الاساس ينطبق على كل ما يدخل في سياق الخدمات العسكرية والحربية الخاصة والعامة .

تلك هي الاسس التسعة التي تشتمل على فن الحـرب . ان تطبيقها في شؤون وامور تحضير الحرب وسوقها عبر ساحاتها الواسعة يؤلف ما يسمونه بسوقية الحرب ( الستراتيجية العسكرية )،بينما يسمى التطبيق المختص في سوق وتوجيه وادارة القتال في رحاب الميادين بالتعبئة الحربيـ ( التكتيك الحربي ) .

ان الاسس الحربية ومعالمها هي التي امدت كبار العسكريين في التاريخ بالفعالية والنشاط والجرأة والاقدام . لانهم كانوا متأكدين من وجاهتها . وصحة تطبيقها بالتجربة الثابتة كعوامل ايجابية مؤثرة تعينهم على ربح الحرب وكسب النصر . وهي التي رسخت في نفوسهم المفاهيم الحربية الوثيقة التي دفعتهم بالفعل قدما الى غاياتهم المضمونة. وكانت لهم بمثابة السلاح القوي والعدة التي تفوقوا بها وانتصروا . ان مطالعة مقدمات وحوادث التاريخ العسكري السابقة تؤيد هذه البيانات والاقوال . كما تؤلف الاقتباسات التي تركها لنا كبار الكتاب والمؤلفين العسكريين منذ ايام سن تسو القائد الصيني الشهير حتى ايامنا هذه سلسلة تاريخية عسكرية مربوطة الحلقات بعيدة عن الزلل والخطأ . وهي دراسات قيمة معدة لكل من تحدثه نفسه ان يكون يوما من الايام قائدا بارعا . وسوقيا مؤهلا عظيم الاعمال والواجبات العسكرية والحربية . انها الرياضة الوحيدة التي يمكنها ان تجعل من الرجال عسكريين افذاذا اذا لم تهيئهم ليكونوا قادة كبارا . انه لحق علينا ان نأتي على تعاليمهم الحربية في هذه العجالة الموجزة .

# حياة خالد بن الوليد العسكرية



## حياة خالد بن الوليد العسكرية

٤ ٠ لم يكن خالد بن الوليد بطلا عربيا مقداما جرئيا ، خاض المواقع والمعارك الطاحنة وقاد الحملات والزحوف العديدة الظافرة فحسب ، بل كان وايم الحق بالاضافة الى هذه الاعمال الجبارة المجيدة التي قام بها حق القيام ، وسيرها ابرع تسيير ، قائـدا فـذا عظيما قلما عثر التاريخ العسكري على مثله . لقد طبقت شهرته العسكرية الخافقين ، واعترف بعبقريته الحربية المبدعة العالمون وانتظم اسمه بين كبار رجال الحرب الاقدمين والمعاصرين ، منذ العهود الخالية ، ايام هاني بعل والاسكندر وقيصر ، والعهـود اللاحقة ، ايام فريدريك وغوستاف أودولف ونابليون والعهود المعاصرة ايام مولتكـة ولوندروف ، الذين قرانا الكثير ، مما نقله الينا التاريخ العسكري ، القديم والحديـث ونخص منهم بالذكر كبار القادة الالمان العسكريين وكتابهم ، اولئك الذين شهدوا بخالـد شهادة حق عادلة لا رياء فيها ولا بهتان . واقروا بعبقريته الحربية وكتبوا عنه انه بطل عظيم من كبار الابطال ، وقائد كبير محنك خبير في شؤون الحرب ، واستراتيجي مدبِّـر لايباري ولا يجاري ، وتعبوي جريء لم تنجب العصور المتقدمة السالفة الا القليل مـن امثالـــه واقرانـــه .

ويقينا ان خالد بن الوليد يعد حقا من كبار رجال الحرب ، وقد توفرت فيه فطريـا ابرز واقوى شروط القيادة وميزاتها التي لا تتوفر عادة في غير عظام القادة ، ولربما كان متفوقا على كثير منهم بصفاته الشخصية العربية الفريدة التي أودعتها فيه الصحـراء القاسية التي عجمت عوده الصلب ، وراضت مواهبه الفائقة ، والقت فيه ذخيرتهـا كلها من قوة وصلابة . وصبر وجلاد ، وجراة وشجاعة . واندفاع واقدام ، وخفة ومرونة . وبالاضافة الى هذه الصفات والخصائص البارزة التي وهبتها له الطبيعـة الواسعة الارجاء الصافية الاجواء بسخاء وكرم ، فقد منحته الوفير من عقل وادراك، وفطنة وذكاء ،وهبة ودهاء ، وتقدير وحساب حتى تكونت فيه ملكة القيادة ، وتعززت لديه حاسمة الحرب مترعـــة ناميـــــة .

اجل لقد كان خالد واقعيا مدركا ، وعارفا قـل أن اخطأ ، كان عميـق الادراك يعرف كيف يميز بين الحقيقة والخيال ، وكيف يتبين الخطأ من الصواب ، فيأخذ بمجامـع الاول عن قرب وتصميم وحزم ، ويعرض بعيدا عن مدار الاخر بحذاقة وقرار ثابت ، فيتصرف تصرف الواثق من نفسه ، ويتدبر بعقل فاض بالرجاحة والاتزان . وكان في تقديـره ينتصب كالميزان ، يقدر الامور بحسابها ويزنها بالقسط وزنا ، فلا ينقص من شأنها ولا يزيد في قدرها الا بما شاء حكم التقدير ودافع الاحتياط . يتعرف على عوامل الرجحان لدى خصمه ، كما يتعرف على مرجحاته بدقة وعناية واناة ، ويقدر قواته الخاصة حـق قدرها كما يسير مقدرة عدوه فلا يبخسها ثقلا ولا وزنـــا .

اجل ! هذان هما بالفعل الشرطان الاساسيان الهامان بين الشروط المتعـــددة التي يجب أن يتمتع بها القائد المدرك العارف . وكل ما عداهما انْ هو الا سياق ترتيب وتوضيح لعناصر القوة التي يملكها العدو ، او بعبارة موجزة ، تنظيم عوامل الاهبـة والحيطة ازاء العدو الذي يجهد من جانبه من اجل مثل هذا التنظيم . هذه هي ميـزات خالد القائد المتفوق ، والسوقي الملهم ، والتعبوي المدبر وهي ميزات اعطته عن حـق واستحقاق لقب القائد وصانه . ومكنته من الفوز والغلبة عن اهلية وجدارة ، وانـه لواقع لا يختلف في شأنه وامره من وعي فن الحرب وعرفه ، وتفهم شرعة الحـــرب وشروطها وقواعدها .

لقد عرفه الرسول الاكرم محمد بن عبدالله ﷺ قبل دخوله الاسلام ، فكان للاسلام ولرسوله خصما قويا ومناوئا عنيدا . ثم هداه الله الى الحق والى الصراط المستقيم ،فاهتدى مختارا راغبا ، لا خائفا راهبا . وشهد الرسول اسلامه ففـرح به

واغتبط كثيرا ، ودعا ربه اجابة لرجاء خالد ان يكفر عنه سيآته ، ويغفر لهذنوبه التي اقترفها ضد الاسلام ، وان يشمله بالعفو الكريم والمغفرة الواسعة عما تقدم منه وسلف ، واكرمه وسماه سيف الاسلام ، وهي تسمية مشرفة ما سبقت لغيره من كبار السابقين في الاسلام . وعرفه الخليفة ابو بكر ، وقال فيه كثيرا من روائع الاقوال الخالدات ومنها : (عقمت النساء أن يلدن مثل خالدا ، وقوله ايضا : (والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ) . وعندما اراد عمر بن الخطاب ايغار صدر ابي بكـــر علـى خالد اثر مقتل مالك بن نويرة ، وكان زعيما كبيرا في قومه، على يد خالد الذي ذهب بـــه اليقين انه ارتد عن دينه بامتناعه عن اداء الزكاة ، ومجابهة له باقوال اشتم منها خالد رائحة النفاق والارتداد فقتله ، وتشدد عمر في الامر ، والتمس من ابي بكر انزال صارم العقاب به جزاء قتله مسلما لم يثبت ارتداده عن دينه . لقدامتنع ابوبكر عن مسايرة عمر في رغبته وقال له : ( والله لن اشيم سيفا سله الله على المشركين ) .

وما جهل الخليفة عمر قدر الرجل وعلو منزلته ومكانته ، بل تبين فيه كل ما يمكن ان يتبينه الرجل العظيم في الرجل العظيم ، واقر بعبقريته العسكرية وميزاته الحربية ، وقال وهو يستعرض ذكريات بطولات خالد : ( ان ابا بكر اعلم بالرجل مني ) وقـــد حزن الخليفة عمر على وفاته أشد الحزن . وحدث أن بنات عمه عندما بلغهن خبـــر وفاته ، رحن يندبن ويبكين صائحات ، والبكاء والندبة مكروهان في الاسلام ، فاجاب عمر لمن اعترض قائلا : ( دعهن يبكين على ابي سليمان ، فعلى مثل ابي سليمـان تبكي البواكي ) .

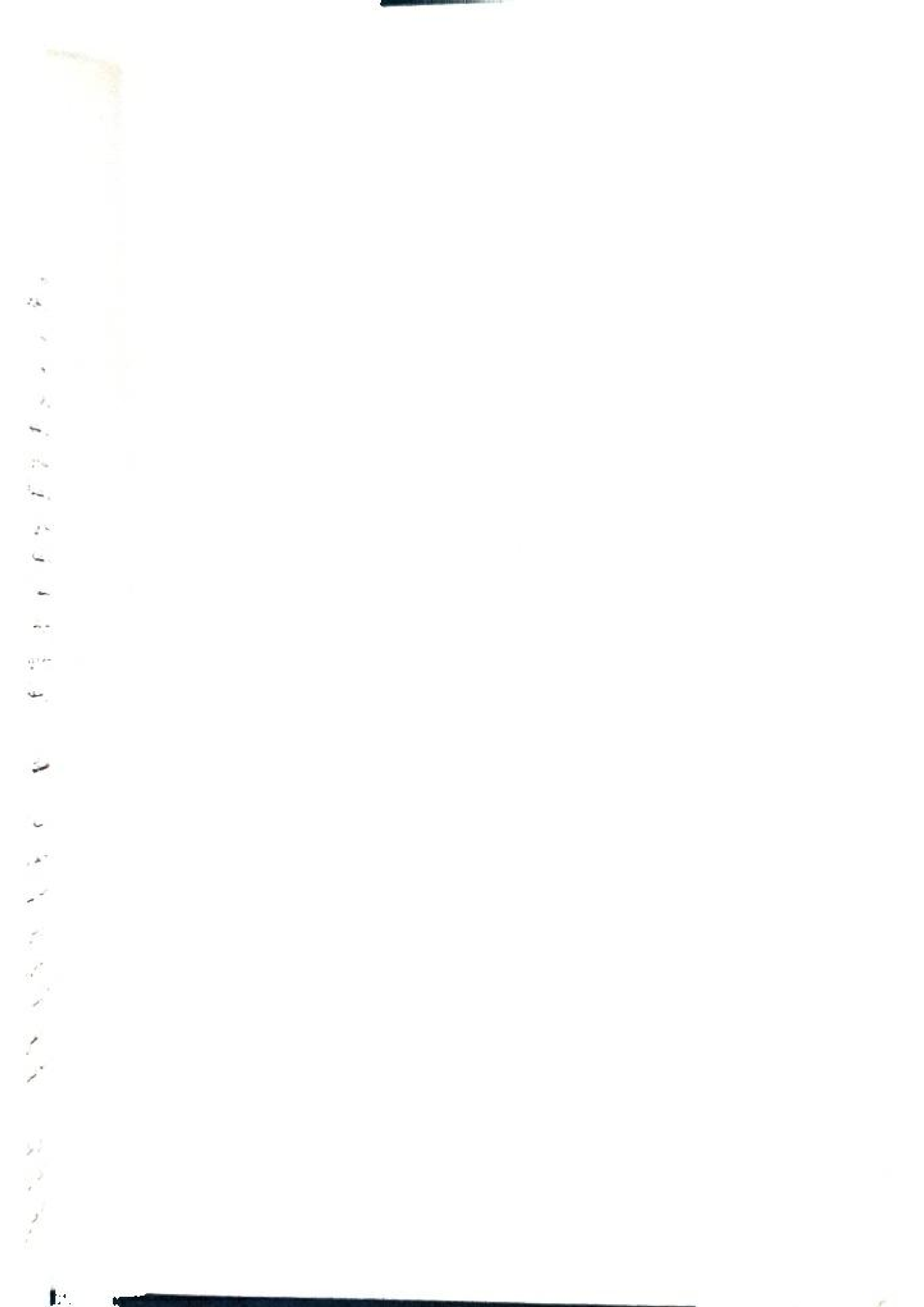
هذه سيرة موجزة عن حياة خالد بن الوليد الخالدة ، وهي لا تفي حتـى بجـزء يسير مما يليق بتلك الحياة الجياشة بالقوة ، العامرة بالبأس والصبر ، المتكبة عظائـــم

الاعمال والغايات ، والتي تحملت جسام الاهوال في سبيل نصرة الاسلام واعزاز شأنه ؛ ولو جهد المؤرخون والكتاب العرب ما امكن لهم الجهد في دراسة تاريخ حياة خالـــد العسكرية والحربية لما بلغوا اطرافها ، ولا احاطوا بنواحيها ولما قدروا على ايفاء الرجل العظيم الموهوب حقه من الوصف والتعريف ، لان حقائق العظماء الوثيقة طالما يختفــي منها شيء هام عن الابصار والبصائر ، هو حقا سر شخصيتهم وعظمتهم . وكأننا بهؤلاء الرجال يعمدون بدافع طبيعي الى الاحتفاظ بذلك الخفاء ليبق في كيان شخصيتهم الفــذة السر الكامن وليظل قيد الكشف والاستطلاع . وموضوع بحث الباحثـين على مــر الدهور ، وقل من وصل الى قرارة هذه الشخصية الجبارة. وهي في ادراكنا الواعــي لتبدو اكثر عظمة في السر والخفاء ، منها للعيان في العلن والجهر . وخالد بن الوليد واحد علم من كبار هؤلاء العظماء : ان انعكاسات شخصية خالد العجيبة المشرقة تنكشــف ميزاتها القوية الظاهرة عن بطل كمي ورجل فذ وقائد خلق للقيادة .



## نظام السوقية والتعبئة عند العرب.

(موقعة اليرموك)



## نظام السوقيـه والتعبئـة عند العرب

## موقعـة اليرمـوك

## وقائعهـا ، سوقيتها ، نظام تعبئتها العـام

بدأ الرسـول الاعظم ، بعد أن توطدت دعوته الكريمة الخيرة . وبعد أن تمكنت اركانها في أرجاء الجزيرة العربية ، يتطلع باهتمام زائد وامعان بالغ صوب الحـدود الشمالية حيث بلاد الشام . وكان يفكر مليا بأولئك العرب من بني قومـه القاطنـين في ربوعها واطرافها الجنوبية . وكان يرغب في استدراجهم لاعتناق الدين الحنيف الذي دان به اخوانهم أهل الجنوب . والعمل على انقاذهم من نير الروم العتاة . ومسيطرتهم الثقيلة التي رزحوا تحتها عهدا طويلا . وقد تبين له بالفعل عظم خطر الروم وبالـغ تعصبهم ضد الاسلام ، وعزم عزما اكيدا على طردهم واقصائهم عن ديار العرب المسلمين وعن حمى دولتهم الجديدة الناشئة . فبادر الى تجريد حملة عسكرية لهذه الغاية.ولكن انتقال ذاته الشريفة الى جوار ربها الكريم ، حال دون تحقيق تلك الغاية الهامـــة . وتنفيذ تلك الرغبة المحببة . ولكن هذه المشاعر ما عتمت ان وجدت رجالها الابرار الامناء الذين تيقظت في نفوسهم المؤمنة دوافعها القوية . وكيف لا يتحسسون بها وهم خلفاؤه من بعده ، وهم أنصار دعوته وحماتها . وقد تعاظمت هذه المشاعر لديهم.وترددت في صدورهم أصداؤها ، وشغلت جل تفكيرهم العميق واهتمامهم البالغ . فعمد الخليفة ابو بكر الصديق الى متابعة تنفيذ رغبة الرسول الاكرم . وبدأ يعد العدة لتحقيقها .

### استئناف العمليـات الحربيـــة :

كان أول ما قام بـه ابو بكر ان سير حملة اسامه لغزو الروم ، وذلك لتحقيق غاية حربية وسياسية معا . تشعر العدو بقوة المسلمين في الداخل. وقدرتهم الحربية في الخارج . وقد صادف اسامة نجاحا بالغا في اغارته الخاطفة . توصل الى البلقاء في اقل من عشرين يوما ، واغار على ابل وداهم قبائل قضاعة . وفاز ببعض الغنائم ثم قفل راجعا بسرعة دون ان يتوغل بعيدا في الاراضي الشامية مخافة المباغتة . ومحاذرة الالتقاء بقوات الروم مجتمعة وكانت هذه الاغارة بالفعل مفاجأة ناجحة . وخطة حربية مقـررة حققت الغاية المتوخاة ، وتعني تثبيط همة العدو واضعاف معنويته . وارهابه من محاولة القيام بحركات عسكريـة ضد العـرب في المستقبـل .

وقد استقر رأي ابي بكر بعد توطيد دعائم الخلافة في ربوع الجزيرة العربية . والقضاء على كافة محاولات اهل الردة ، واعادتهم الى سبيل الحق وجادة الصواب على حمل لواء الدعوة ونشرها خارج جزيرة العرب ، والسعي الى تطهير البلاد العربيـة

المجاورة من اعدائها الغرباء الدخلاء المسيطرين عليها ، وضمها الى حظيرة الوطن العربي الكبير . وتبدت بلاد الشام في نظره الهدف الاساسي الاول لانها كانت تؤلف بالفعل لحمة ذات ارتباط طبيعي واقتصادي واجتماعي وثيق مع سكان جزيرة العرب . بيد ان تقدم المثنى بن حارثة بقواته الى اطراف العراق دفعه الى تدعيم هذه الساحة الحربية المعدة ، واعتبار هذا القطر هدفا اوليا للعمليات الحربية المقترحة . لذلك القيناه يوجه العزم شطر دجلة والفرات ويرتب خطته على اساس اعتماد حالة الهجوم ازاء العراق واستمرار واقع الدفاع مؤقتا ازاء بلاد الشام .

ويتضح لنا مما سبق ، تفهم الخليفة ابي بكر قواعد الحرب وشؤون السوقية وأمورها ، رسمه بوضوح الادراك الاساسي الاهم وترجيحه على المهم الثانوي وفقا للاحوال القائمة والظروف المواجهة ، شأنه في ذلك شأن القادة العارفين الذين يقدرون الامور عن كثب تقديرا وافيا ، ويحيطون بواقعها احاطة تامة ، ويسيرونها وفق هذا الواقع بحكمة وروية لتحقيق عوامل الفوز والنجاح .

واستنادا الى هذه الخطة السوقية العامة اناط بالقائد خالد بن الوليد مهمة فتح العراق ، بينما كلف القائد خالد بن سعيد العاص بمهمة دفاعية اقتصرت على مراقبة حدود الشام ، وتجنب الاشتباك مع قوات الروم ، والاكتفاء بالقيام بدعاية نشيطة فعالة بين العرب الغساسنة حلفاء الروم ، لاستمالتهم الى جانب العرب المسلمين وكسب ودهم وتأييدهم ، وترغيبهم في دين الاسلام الحنيف ، وبالتالي تأمين سلامة هذه الحدود مؤقتا ريثما يحين الوقت الملائم للقيام بالاجراءات الحربية المقررة في المستقبل المنتظر.

رابط ابن العاص بالقرب من تيماء لمراقبة احوال الروم ، وقد تضاعفت قواته بفضل انضمام عدد كبير من رجال القبائل العربية المجاورة ، بيد ان الروم ما اعتمدوا ان حشدوا له قواتكبيرة جلها من العرب الغساسنة بقيادة البطريق باهان استعدادا للانقضاض على العرب على حين غرة . فاوعز الخليفة باجراء تماس مع العدو بغية استطلاع قواته ومعرفة قدرتها ، وبالتالي كشف نواياه . وما كاد ابن العاص يتخطى الحدود بقواته الضاربة حتى فرت جموع الروم امامه ، فتعقبها حتى بلغ قرية القسطل الواقعة على طريق البحر الميت ، وهزم في طريقه جيشا آخر من الروم كان يرابط على ضفته الشرقية ، واوغل بعيدا بصورة اصبحت معها قواته معرضة للاخطار .

اجل لقد ابتعد ابن العاص عن نطاق مهمته الاساسية وهي مراقبة العدو ،وانحرف عنها وراح يمعن بالاندفاع وراء العدو دون ان يحسب حساب المفاجآت المحتملة ،وانطلق يلاحق انتصاره البدائي السريع الذي احرزه على العدو الذي كان في الواقع ينفذ خطة خاصة مقررة ،كما انه لم يكن من المقرر ان يخوض العرب مع الروم قتالا مركزا ،بالاضافة

الى ان ابن العاص لم يتريث وينتظر ورود النجدات الموعودة القادمة من المدينـــة لتعزيز قواته وتقويتها قبل ان يمضي قدما في السباق الجامح والانطلاق البعيد بقواته التي لم تكن قط كافية لمثل هذه الحركة الواسعة التي تولى متابعتها دراكا . . . .

مضى ابن العاص بقواته مندفعا صوب الشمال بلا مراقبة ولا حذر ، ودون احتياط أو ترو ، فاغتنم البطريق باهان فرصة هذا التقدم المتدافع ، واخذ ينسحب أمام القوات العربية المتقدمة متظاهرا بالضعف والعجز والتصدي لها ومجابهتها .

وكان في هذه الاثناء يجد في جمع قواته وتوجيهها وفق خطته الموضوعة ، ومـــا حتى أن قام بحركة التفاف واسعة على جموع المسلمين حيث داهمهم عند مرج ( الصفر ) وكانت قوات الروم متفوقة بالعدد ، وقد مالت كفة القتال الى جانبهم ، فاصيبت قوات المسلمين بهزيمة قاسية ، وفر قائدها مع جماعة من جنده ، بيد أن عكرمة بن ابي جهل سارع الى تولي أمرة الجيش المنهزم ، ونجح في اخراجه من مأزقه الحرج ، وجهـد فـي سحبه من معمعة القتال ببراعة ، وساقه نحو الجنوب ليتربص به وراء الحدود منتظرا وصـــول النجـــدات القادمـــــة .

وكانت هذه الاغارة فاتحة النضال المرتب بين العرب والروم . وقد بادر ابو بكـر في أواخر العام ١٢ هـ. الموافق ٥٩٢ م. الى اعلان النفير العام في كافة انحـاء الحجـاز وانتهى بأن اعد أربعة جيوش كبيرة ، اختار لها أبرع قادته استعدادا للحركات والعمليات الحربية المنتظر انطلاقهـا الى بلاد الشام .

**نظام سوقية الجيوش الاسلامية على بلاد الشام :** انظر مخطط رقم (١)

انطلقت الجيوش الاربعة المذكورة انفا باتجاه محاور سير متعددة عينها لها الخليفة في خطتــه الحربيــة على النسق التالي :ــ

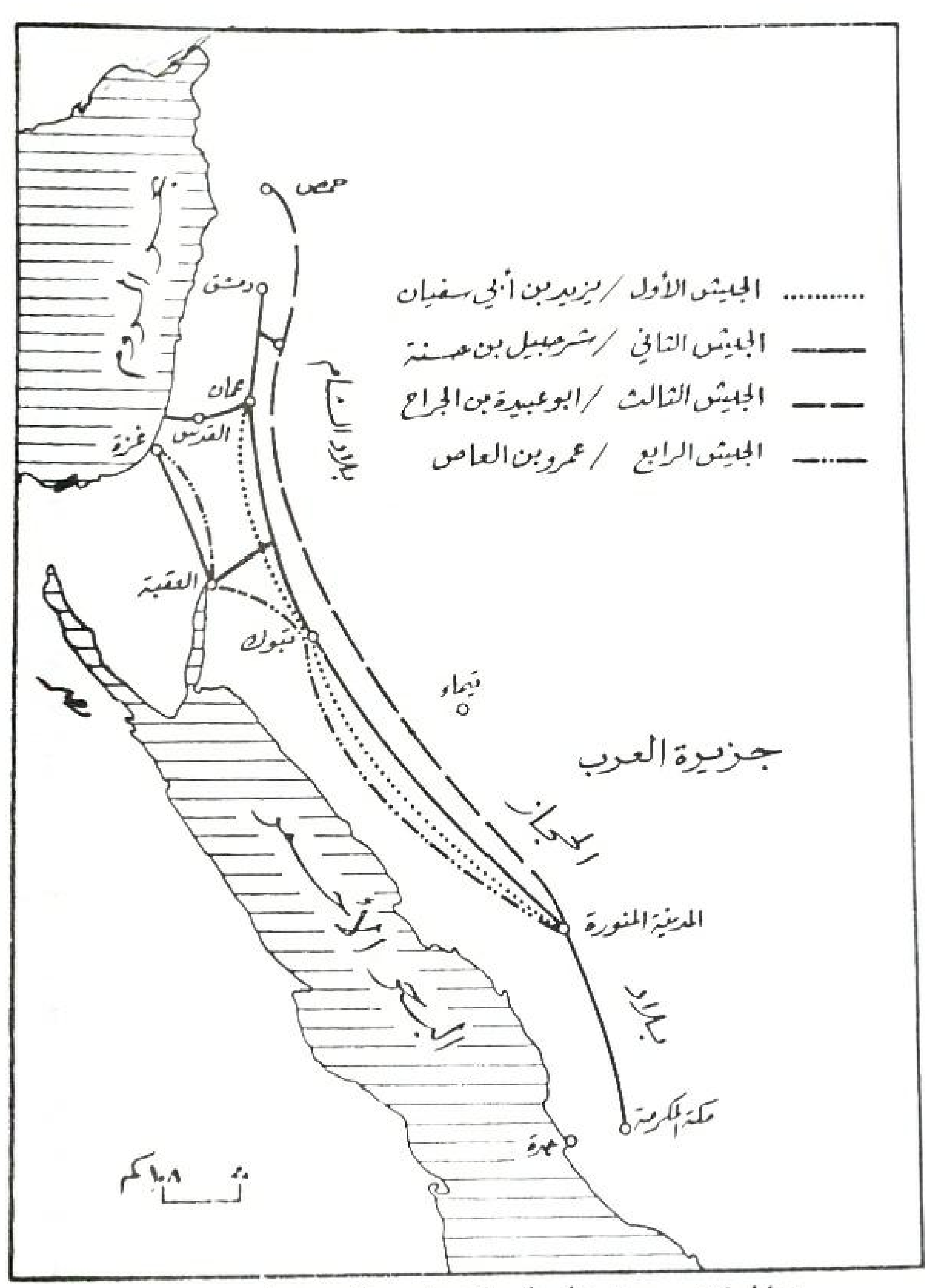
١ ــ الجيش الاول بقيادة يزيد بن ابي سفيان وكان هدفه دمشق ، ومحور سيره تبـوك ــ البلقـــاء .

٢ ــ الجيش الثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة وكانت مهمته احتلال بصري عاصمة حوران ، وكان محور سيره ذات الطريق التي سلكها الجيش الاول .

٣ ــ الجيش الثالث بقيادة عبيدة بن الجراح ، وهدفه حمص عبر طريق البلقاء.

٤ ــ الجيش الرابع بقيادة عمرو بن العاص ، ومهمته احتلال فلسطين،وكان محور سيره الطريق الغربيــة عبر العقبـــة .

مخطط رقم ( ١ )




مخطط نظام سوقية الجيوش الاسلامية العربية على بلاد الشام

## التوجيهـــات العامـــة :

شيع الخليفة جيوشه الاربعة الى خارج المدينة ، وزود قائدها العام ( امير الجيش ) بالتوجيهات السامية التي تمثل بالفعل روح البطولة والفروسية العالية ، ومبادىء الرفق الانساني المتحرر من التعصب والانتقام، واشتملت تواصية على العناية بالجند وترفيههم ، والاقتصار في الامرة ، والاختصار في الكلام والوعظ ، واقامة الصلاة بمواقيتها ، لان المحافظة على المواقيت والمواعيد من الشروط العسكرية والحربية ، وهي التي تؤمن الفوز والنجاح . وواجب اكرام رسل العدو وعدم ايذائهم مع الحذر من اطالة اقامتهم ومكوثهم منعـا للاستطلاع والاستعلام . واشار بانزالهم في احسن مكـان للتأثـير عليهم ، والعمل على منعهم من التحدث مع الجند ، ودعا الى لزوم التشاور المشترك في الامور والشؤون الهامة المعترضة ، واعتماد الصدق والاخلاص في الاعمال والاقوال والواجبات . وامر بمسامرة الاصحاب لاستطلاع خفايا الاشياء ، ومضاعفة الحراسة والخفارة لتحقيق السلامة والامن ومراقبتها جيدا ، ومعاقبة من يقصر في مثل هـذه الواجبات بامانة واخلاص . وفرض وجوب تناوب الحراسة ، وتحديد طول ساعاتها بالنسبة الى فصول السنة ، وبالنسبة الى مطلع الليل ، لان الساعات الاولى تكـون اخف وطاة على الحراس من الساعات الليلية المتاخرة ، واعتماد الصدق والصبر عند اللقاء . ونصح القائد الحذر من عادية الجبن والخور لان هذه الظاهرة المقوته تؤثر على معنوية الجند تأثيرا خطيرا ، وقد تؤدي الى اضعاف ثقتهم بأنفسهم ، وزعزعة روحهم القوية لانها سريعة العدوى . وطلب احترام اماكن النسك والعبادة وحمايـة القائمين عليها ، والرفق بالناس من اجل كسب حبهم وودهم واجتذابهم ، وتوفيـر الانعام والحيوانات والطيور والنباتات والمزروعات للاستفادة منها والمحافظة علـى الغلة للاهلين لابعاد عادية القحط وشبح العوز . كل هذه النصائح النظامية لها غاياتها الانسانية ، ولها فوائدها ومحاسنها ، ولها معانيها ومفاهيمها وهي تيسر الخير وتبعد الشر والاذى عن الجند المحاربين وعن سكان البلاد المحتلة . لقد سمعنا ابان الحـرب العالمية الثانية بفظائع وجرائم . واعتداءات ومظالم يسود لها وجه الانسانية ، تقوم بها جيوش تدعي التمدن والحضارة ، كانت بعض تصرفاتها بعيدة عن روح الانسانية ومثلها السامية ، فأين هم من جيوش المسلمين الفاتحة التي حملت الى الاصقاع والبلدان الحرية والامن والدعة والسلام ؟ دعوا هؤلاء المتمدنين يتعلموا عن خليفة المسـلمين الاول الذي اخرجته الصحراء كيف يجب ان يكون واقع ومثال الجند الصحيح باخلاقهم وصفاتهم ، وسيرتهم وسلوكهم ، وغيرتهم وحمايتهم للعدو المغلوب ، ودعوهم ايضـا يتعلموا من جند العرب ، كيف يكون الجندي المحارب الذي يمثل بالفعل الكمال الانساني والفروسية الصحيحة ، والقوة الخيرة لخدمة البشر .

وقبل ان نتناول ذكر الوقائع التي خاضتها جيوش المسلمين ، يجدر بنـا ان نتساءل عن الدوافع والاسباب التي حدت بأبي بكر الى سوق اربعة جيوش متفرقة

تباعا ، وقد عين لها اهدافا متباعدة بدلا من انطلاق والتقدم كتلة واحدة ، كما كان مألوفا فيما مضى . اجل ان هذا الاسلوب يبدو في جدته نظاما جديدا في سياق السوقية العامة . يرمي الى غايات معينة مقصودة ؛ ومن شأنه ان يحقق ميزات عديدة . ثم الا يشبه مثل هذا النظام في السوق الى حد كبير ، طريقة القائد السوقي الالماني الكبير فون مولتكه في طراز مناورات الجيوش الملاقية لتامين اجتماع الجيوش الثلاثة تباعا في الميدان التعبوي لموقعة سادوفا عام ١٨٦٦ ضد النمسا ؟ غير اننا نلاحظ ان سوقية ابي بكر تتميز بما يلـــــي : —

اولا : — تغطية مجموعة الجيوش المتقدمة لتامين الامن والحماية وحرية العمل .

ثانيا : — تحقيق سهولة الحركات العامة لكافة الجيوش المتقدمة .

ثالثا : — تسهيل حركة التلاقي ومناورتها في ميدان الموقعة .

رابعا : — تأمين سهولة حركات الالتفاف والاحاطة والتطويق .

خامسا : — تدارك امكان المساندة بين مختلف الجيوش المتقدمة .

سادسا : — امكان قطع خطوط مواصلات قوات العدو الزاحفة او المتربصة .

سابعا : — امكان اجراء التراجع التعبوي ازاء العدو في حالة الاضطرار الى القيام بمثل هذه العمليات والحركات الحربية .

وهكذا نتبين بوضوح من الترتيبات السوقية الآنفة الذكر اعتماد العرب نظاما سوقيا جديدا لا عهد لهم به من قبل ، وهو خروج واضح على نظام السوقية القبلي الذي الفوه . ولو دققنا مليا في هذه الترتيبات لوجدناها لا تختلف كثيرا عن نظم السوقيات العامة التي ابدعها بعض كبار قادة السوق في العصور المتقدمة والعصور المتأخرة ، مما يدل بوضوح على ان مبدع السوقية العربية الجديدة ، كان على فهم تام بأمور السوقية العامة وقواعدها المفروض اعتمادها وتطبيقها وفقا لخطة الحرب المقررة في بلاد الشام .

## حركات الجيوش الاسلاميـــة الحربيـــة :—

عبر جيش يزيد بن ابي سفيان الحدود وتقدم عبر البلاد الشامية كالسهم الخاطف واستطاع دون عناء كبير ان يدفع امامه قوات الروم الاستطلاعية المرابطة وراء الحدود . وما عتم ان اصطدم بقوات البطريق سيرجيوس على طريق فلسطين عند وادي عـــربة وهو سهل منخفض عظيم يقع جنوب البحر الميت ، فتراجع جنود الروم مندحرين امام جيش يزيد ، وارتدوا دراكا نحو غزة . فاختار يزيد قوة من الفرسان بامرة ابي امامـــه لمطاردتهم وملاحقتهم ، فادركتهم عند قرية دائن ؛ وكادت تنجح في ابادتهم . ثم واصل يزيد تقدمه بعد وصوله الى هدفه الاول ، ومضى في تطهير مراكز دفاع الروم الجنوبية لتمهيد الطريق امام الجيوش العربية المنطلقة التي تمكنت من الاندفاع دون عائق ، ثم اخذت تتفرق سائرة قدما نحو اهدافها المتباعدة .

بلغ هرقل وهو في حمص انباء تقدم جيوش المسلمين الزاحفة . وبعد ان تبين بوضوح خطة العرب السوقية وقوتهم ونظام انتشارهم ومحاور سيرهم، اعتمد ازاءها خطة معاكسة مستغلا تفوقه الهائل ، متبنيا فكرة اشغال كل جيش من هذه الجيوش الاربعة بقوات تفوقه عدة وعددا ، وراح يستلهم من سوقية العرب الجديدة سوقيته المعاكسة الضارب ، وترتبت خطة الروم الجديدة ، ونظام قواتها على النسق التالي :

اولا : ــ جيش تيودورث على راس تسعين الفا ازاء جيش عمرو بن العاص

ثانيا : ــ جيش فيقارنسطوس على راس ستين الفا قبالة جيش ابي عبيدة ابن الجراح .

ثالثا : ــ جيش دراقص على راس اربعين الفا في وجه شرحبيل بن حسنة

رابعا : ــ جيش جرجه تدارا ٥٠ الف امام جيش يزيد بن ابي سفيان.

ولقد آدت هذه الخطة بالفعل الى تفوق الروم العددي والاتجاهي والى تثبيت قوات المسلمين في مختلف مواضعها المتفرقة ، وعلى شتى محاورها المتشعبة في جنوب بلاد الشام . ورغما من أن قوات المسلمين نجحت مبدئيا في عملية الاجتياز السوقي على الحدود الا انها عجزت بالتالي ، وقصرت عن انجاز حركات الالتفاف المفروضة لتطويق اقسام العدو المبعثرة ، واضاع المسلمون بسبب التدابير التي اتخذها العدو ميزة المبادهة واضطر كل جيش الى التربص والتشبث في مواضعه التي وصل اليها ، واصبح في وسع هرقل أن يتحكم بالوضعية القائمة وذلك بتوجيه ضرباته الماحقة لكل جيش على حدة لدحره بمفرده ثم القضاء على هذه الجيوش مجتمعة في النهاية . وازاء هذا الوضع الجديد عاين قادة جيوش المسلمين الخطر المحدق ، وادركوا مداه ، وتبينوا التهديد الذي يستهدف قواتهم الضاربة ، فتشاوروا فيما بينهم وتبادلوا الراي واجمعوا اخيرا على الانسحاب نحو الجنوب باتجاه وادي نهر اليرموك نقطة الالتقاء والتجمع العام نزولا عند اقتراح عمرو بن العاص ، وهو الراي الذي اقره الخليفة لانه كان الحل الوحيد الممكن اتخاذه ازاء الوضع المواجه الذي جابهه العرب ، وكان من المحتمل ان يؤدي بهم الى كارثة محققة ماحقة .

أجل ، لقد اربك التدبير الجديد الذي اعتمده قادة العرب خطة هرقل وعرقل سياقها وعطل تنفيذها نهائيا . وقد اوعز هرقل الى قادته المعاونين بملاحقة جيوش المسلمين تباعا . وامرهم بالنزول بجيوشهم على ما قيل منزلا واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وسارع باصدار اوامره لاجراء التجمع العام في جنوب الشام .

### الوضع العام قبل الموقعة :

توقف الروم اخيرا عن ملاحقة قوات العرب المتراجعة ، وعرجوا على وادي اليرموك حيث رابطت قواتهم في جوار تل الواقوصة على شعاب نهر الرقاد احد

روافد نهر اليرموك الذي اطلق عليه فيما بعد وادي خالد . ويقع هذا الوادي شرق جنوب بحيرة طبريا في سهل قليل الاتساع ، تحيط باطرافه من الجهات الثلاث الاخرى الجبال والمنحدرات والمسيلات العميقة . وهو غير صالح لان يكون ميدان قتال كميدان موقعه اليرموك اصلا . وقد حشر الروم انفسهم في ارجائه الضيقة على اساس الراحه والاستجمام مبدئيا ، وبالتالي استئناف الهجوم اذا دعت الضرورة .

وقد لاحظنا من وقائع التاريخ ان العرب اظهروا بالغ دهشتهم من مرابطة الروم في مثل هذه الاماكن الضيقة ، كما بدا لهم هذا التصرف عمل واه ، الا انه جاء في مصلحة العرب ومهد لهم الفوز والغلبـــــة .

عاين المسلمون مواضع الروم ، ثم نزلوا على مقربة من نهر اليرموك ، ورابطوا باتجاه مواضع العدو على بعد كاف مـن اتجاه نفوذه على السهل الذي اغلقـــوه، وتربصوا في مواضعهم ، كما تربص الروم ايضا على واقع التريث والانتظار . وخلفوا وراءهم مفازات السهل المنفرج الواسع المؤدي الى الصحراء .

وكتب قادة العرب الى الخليفة يعلمونه بواقع الحال ، ويطلبون اليـــه امدادهم بقوات جديدة . . والواقع ان ابا بكر لم يكن في ذلك الوقت في حالة تمكنه من اجابـة طلبهم العاجل ولكنه معذلك تمكن ببراعته فيمعالجة ذلك الموقفالحرج، وتعزيز الوضع بسرعة وهمة ، مغتنما فرصة ركود العمليات الحربية في بلاد العراق ، فعمد الـــى استدعاء خالد بن الوليد مع نصف قواته للاسراع الى ميدان اليرموك لاستـلام امـرة الجيوش العربيةومؤازرتها وقيادة قواتها قبل ان تحين الساعة الحاسمة . وكتـــب الى ابي عبيدة بن الجراح في بلاد الشام يخبره بمقدم خالد واستلامه القيادة العامـة قائلا : ( اما بعد فقد وليت خالدا امرة قتال العدو في ارض الشام ، فلا تخالفه واسمع له واطع . انني لم ابعثه عليك لانه خير منك عندي . ولكنني ظننت ان له فطنه ودراية في الحرب ليست لك ) . ويقينا ان القارىء لن يفوته قط ادراك قوة هذا الامر الخطير ومرونته ومسوغاته ،وفيه غاية الامر والاقناع ، وانه الامر الوافي الوجيز الذي لا نقص فيه ولا عيـــب .

# ميدان موقعة اليرموك الجغرافي والطبوغرافي

## ميدان موقعة اليرموك الجغرافي والطبوغرافي
## دراسة المخطط التعبوي ـ وضع الجيشين المتحاربين

يقع ميدان موقعة اليرموك شرقي شمال نهر الاردن ( الشريعة ) وبحيرة طبريا، في سهل منبسط مستطيل ذي اتجاه غربي شرقي ، يبلغ طوله ١٥ كيلومترا تقريبا،تحيطه من الشمال والغرب سلسلة من المرتفعات الشاهقة ، وتتخللها اودية ومجار مائية عميقة الغور لا تسمح بقيام مناورات وحركات واسعة المدى . ويحد السهل طولا من الجنوب وادي نهر اليرموك المنخفض الذي يأخذ منابعه من اطراف مناطق الاردن وحوران ويصب اخيرا جنوب بحيرة طبريا . ويجري النهر في واد صعب الاجتياز عسير العبور لا يصلح للعمليات الحربية ، وقد اطلق العرب على القسم الذي يصب فيه نهر العلان اسم وادي خالد ، ويعتقد أن هذه التسمية اعطيت لهذا الوادي بعد موقعة اليرموك تخليدا لذكرى انتصار خالد الخالدة .

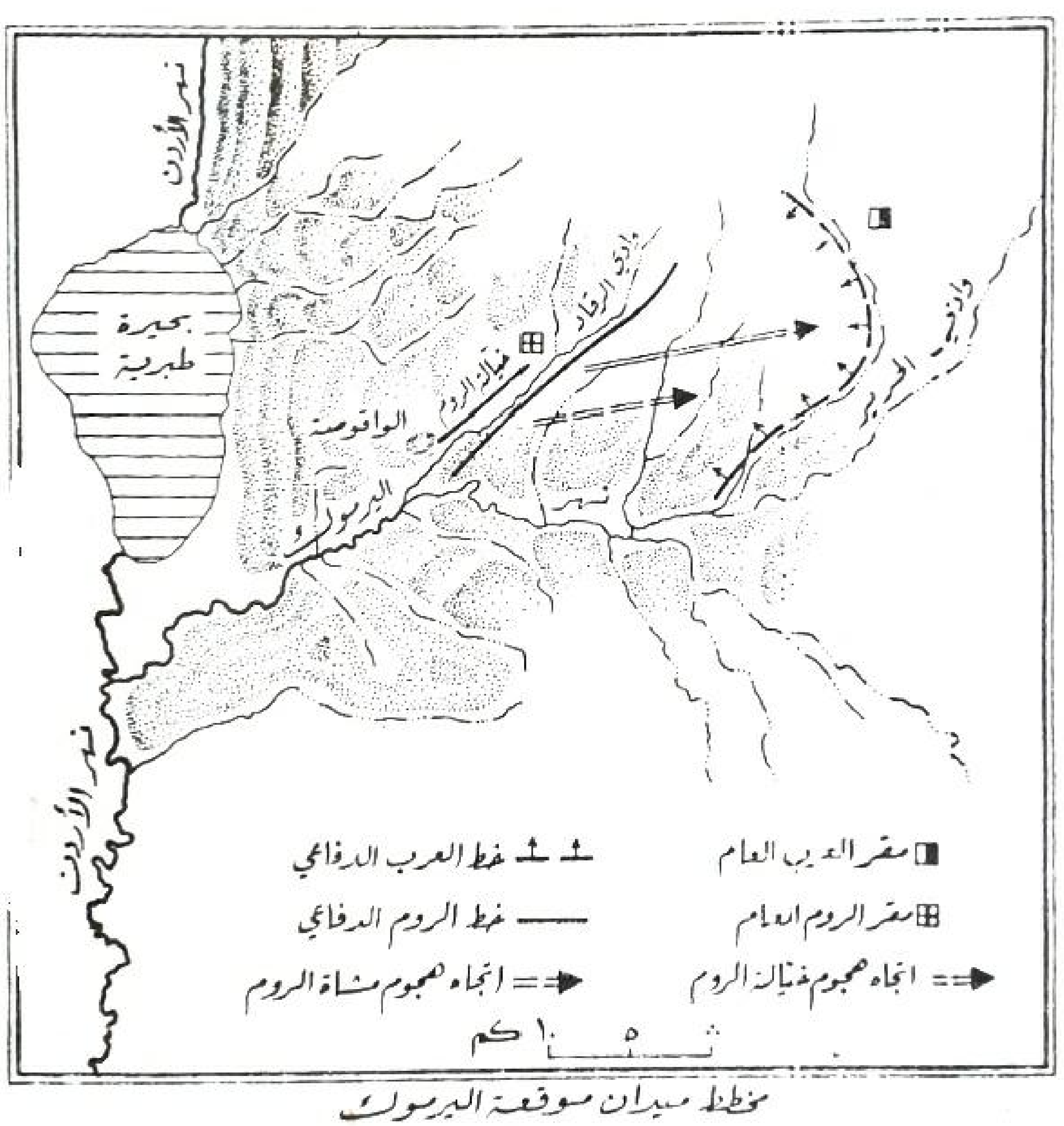
وتقطع السهل جداول عميقة القرار تهبط من اعالي المرتفعات الشمالية باتجاه شمال جنوبي ، وتجتاز اودية منخفضة قبل ان تسيل عبر السهل المنبسط لتصب في نهر اليرموك . ويجري نهر الرقاد في القسم الجبلي منه ، ثم يأخذ اسم نهر العلان عند انصبابه في وادي اليرموك . وهو ينتصف السهل من الشمال الى الجنوب بشكل متعرج ويليه نحو الشرق نهر الحرير الذي يتألف من شعبتين تجري احداهما ، شمالا ـ جنوبا، والاخرى تسيل شرقا ـ جنوبا لتصبا في النهر المذكور . وتنتهي حدود هذا السهل الى الشرق على الطريق العامة دمشق ـ درعا ـ بصري الشام حيث ينفتح على رحاب السهول المنفرجة الواسعة التي تؤدي الى منطقة البلقاء ومشارف الصحراء .

ان هذا السهل المنبسط الضيق العميق الذي حددنا خطوطه الكبرى ، هو الوادي الذي عسكرت في منتصفه على نهر الرقاد قوات الروم ، وهو ميدان موقعة اليرموك الشهيرة .

### وضع الجيشين المتحاربين / انظر مخطط رقم ٣ .

عندما توقفت جحافل الروم عن ملاحقتها للجيوش العربية المنسحبة كانت هذه بعيدة الى الجنوب . بيد أن فصائل خيالة العرب التي كانت تؤلف مؤخرة الجيش،وتغطيه حركة انسحابه ، وتؤمن حمايته كانت على تماس قريب بالنظر مع العدو ، تراقب حركاته وسكناته ، وكانت القيادة العربية قبل وصول خالد الى اليرموك ، وتسلمه القيادة العامة على علم بكل ما يجري وراءها من تحركات . وما ان توقف العدو وتمركز في اماكنه المعينة حتى كفت جيوش العرب عن الانسحاب ، وكأنها على موعد منتظر ، وارتدت لتأخذ

مخطط رقم ( ٣ )




مخطط ميدان موقعة اليرموك

بدورها مواضعها الاولية على نهر اليرموك بالذات ، فعمد العدو انئذ الى تحكيم أماكـن تربصه خشية مفاجأة غير منتظرة ، وبدأ بحفر الخنادق زيادة في الاحتياط الامـر الذي استدل منه العرب ، أن الروم اضحوا مجبرين على قبول القتال بحكم الواقـع الذي اصبح لا مفر منه ازاء تصميم العرب العنيد بانتظار المبادهة من جانب او اخر .

وصل خالد الى اليرموك ، وتسلم قيادة الجيوش العربية العامة ، ونظم تشكيلاتها وهيأ وحداتها بصورة جعلتها على اتم استعداد لخوض القتال . وما عتم بعد ذلك أن أوعز بترك المواضع الاولية على نهر اليرموك لاشتغال مواضع جديدة غرب طريـق دمشق ــ عمان بعد ان افرز قوات هامة من الخيالة لمراقبة وحماية القسم الشمالي من الطريق ضد اية مفاجآت محتملة ، وتربص بكتلة جيشه الضارب في المواضع الدفاعيـة المكينة التي اقامها على نهر الحرير وشعابه قبالة مواضع الروم القائمة على نهر علان، وقد قطع عليهم السبل نحو الشرق والشمال وسد منافذها باحكام .

هكذا كانت الوضعية العامة في ميدان الموقعة الذي تعين بفعل سـوء الاختيار الذي اعتمده الروم ، وبحكم رداءة الموضع المحصور ، وكان سببا بالـغ الخطورة ، احـرج وضعهم التعبوي واوهن عزائمهم ومعنوياتهم ، واضعف قدرتهم الحربية وامكانهـــا، وجعل تفوقهم متدنيا . وتبدت الخطة الفذة التي ابدعها خالد عامل تفوق حربي هـام، وقد اتينا على ذكرها في مخطط الموقعة المثالي ، بالاضافة الى القوة المعنوية الفائقة التي عمرت بها قلوب العرب المؤمنة . وملأتها عزما غلابا ، وهمة قوية لا تتزعزع ، وكان من شأن هذه العوامل الرئيسية أن تضاعفت اسباب تفوق العرب كما تدنت طاقة الـــروم الحربيـــــة .

وبفضل هذه الاسباب الواضحة تمكن اربعون الف مجاهد عربي جاؤا من وسط الصحراء من أن يجابهوا ويصمدوا في وجه ١٤٠٫٠٠٠ مقاتل حسب تقدير المصـادر الغربية ، و ٢٤٠٫٠٠٠ محارب وفقا للتقديرات العربية ، ويبيدوهم عن اخرهم ما خلا من استطال به العمر ، ويقهروا أكبر جيش ضارب ، ويمزقوا أقوى امبراطوريـــة قائمة في ذلك العصر .

اننا نتبين من مخطط موقعة اليرموك بأن خطة خالد بن الوليد الحربية التي سميناها « الخطة الخالدية » كانت خطة حربية رائعة ، وقد انتظمت على طريقة ابدعها خالد بنفسه ، ولم يسبقه اليها أي قائد عربي اخر ، ولا اي قائد اجنبي الا ما ندر وانهـا لتشبه في نظامها واتجاهها وعناصرها طريقة نابليون الطرازية « طريقـة الالتفاف والتطويق » الشهيرة التي طالما اعتمدها هذا القائد في مواقعه الكبرى الظافـرة ، وطالما حققت له النتائج الايجابية البالغة . وهكذا راينا أن خالدا تجاوز أعاظم القادة العسكريين في دقة التخطيط الحربي الفني ، وقيادة الجموع الضاربة بمهارة وبراعة ،

وهكذا تمكن ايضا بعبقريته المبدعة من تحطيم التفوق العددي والمادي الهائل لدى العدو بصورة لا يستطيع معها المرء الا ان ياخذه العجب والاعجاب بقدرته الحربيـــة ، وان يقرّ ويعترف مجبرا ببطولة هذا القائد العربي العظيم .

بيد ان خالدا فاق كبار القادة السالفين والمعاصرين ومعهم نابليون بالذات ، حيث ادخل على سياق الخطة الحربية القياسية التي ادركها ووضع مخططها تجاوبا مـــع الواقع ، عنصرا اضافيا لم يبدعه غيره ، وهو اساس تفريق كتل العدو الضاربة من مختلف الاسلحة لاضعاف قوة الصدام لديها . وقد رايناه يوعز بفتح ثغرة تعبوية لنفوذ خيالة الروم من اجل فصلها عن مشاتها ، واعطائها سبيل الفرار وامل النجاة ، الامر الذي اثار اعجاب القائد الالماني الكبير فون دركولتز ، وجعله يقول : « ان خالد بن الوليد كان استاذي في فن الحـــرب » .

ان هذا الاعتراف الصريح الذي أورده القائد الالماني ونقله الينا القائد الالماني ليمان فون ساندريس اثر حادثة حربية هامة وقعت اثناء الحرب العالمية الاولى وهي ، ان الجيش على جبهة فلسطين ، كان قد تراجع واخلى مواضع السلط التي احتلتها كوكبات الخيالة الانكليزية بعد قتال عنيف . وكانت الخطة الالمانية — التركية تقضي باستعادة هذا الموقع السوقي الهام المشرف على ميادين العمليات المجاورة ، مهما كلف الامر من أجل استئناف عمليات حربية اخرى في القريب العاجل ضد القوات الانكليزية الزاحفة عبر فلسطين وشرق الاردن .

هكذا نظم القائد الالماني ليمان فون ساندريس مناورته الحربية الرامية الـــى استرداد الموضع المذكور ، وعبأ لها القوات الكافية ، واطلق هجوما كبيرا مركزا توسع بنجاح مضطرد حتى احاط بمواضع السلط من جميع أطرافها ، وأمست القوة الانكليزية المحتلة مطوقة من كافة الجوانب ، ولم يبق أمامها سوى المقاومة المطلقة حتى النهاية أو الاستسلام استنادا الى الاساس الحربي القائل : «ان كل قوة طوقت وأحيطت نهائيا اما ان تستسلم واما أن تقاوم حتى الابادة » .

وعلى الرغم من التطويق التام لقوات العدو ، ما عتم القائد الالماني ليمان فون ساندريس ، ان أوعز الى قواته بوجوب فتح ثغرة عرضها اثنا عشر كيلو مترا باتجاه الجنوب . لقد دهشت هيئة اركان الحرب التركية لهذا القرار الغريب ، واعترضت عليه وبينت رايها في ذلك بصراحة . فاجاب القائد الالماني : « ان راي الهيئة الحربي نظامي ووجيه للغاية ، ولكن هذا الراي تحيط به عوامل راهنة تضطرنا الى اعتماد مثل هذا القرار المدهش » . وافاض قائلا : « اجل ، ان القوات التركية الضاربـــة احاطت بالفعل بالموضع احاطة كلية ، وطوقته تطويقا كاملا ، والعدو امسى في قبضتها وقيد حصارها المحكم . وانا متاكد بان العدو لن يذعن بسهولة ولن يستسلم بسرعة ،

وانه سيمضي في الدفاع والمقاومة حتى النهاية ، اذا تحقق له او تأكد ان لا سبيل الى كسر حلقة الحصار للافلات والهرب . وانتم لا تجهلون قط عناد الانكليز عند الحرج ، ومقاومتهم الصلبة في حالة اليأس ، وانهم لن يستسلموا سراعا كما نتصور ولطالما بلونا امرهم في كثير من المواقع والمعارك . والقوات التركية الان تعبة منهوكة كما تعرفون ، وانا اخشى ان يحطم العدو بمقاومته الشديدة حدة هجومنا ، ويكسر حلقة حصارنا المحكمة حوله عندما يدرك انه حوصر نهائيا ، وان لا سبيل للخلاص من محنته الا بالمقاومة ، فانه سيتربص عندئذ على الدفاع المطلق ، فتضيع الغاية الاساسية التي من اجلها جهدنا وعملنا ، ورتبنا ونظمنا مناورتنا ، واطلقنا هجومنا الكاسح الظافر حتى الان . فماذا ترون وما ترتأون ازاء هذا الوضع الذي نواجهه ؟ هل نستمر في الهجوم قدما أم نضطر العدو ونجبره على اخلاء المواقع والفرار ؟.

فسأله احد القادة الاتراك الكبار انئذ ، من اين جئتنا بهذه الفكرة ، الرائعة يا سيادة القائد ؟ فأجاب : « علمني اياها زميلي فون دركولتز ، وهو تعلمها بدوره من استاذه واستاذنا خالد بن الوليد القائد العربي العظيم القدر » .

وبالفعل فقد حدث ما تصوره ليمان فون ساندیرس بالضبط . فقد تبينت القوات الانكليزية انها احيطت وحوصرت في بادىء الامر ، واخذت تستعد للدفاع والمقارمة اليائسة ، ولكنها ما فتئت ان ابصرت انفراج الحصار عن الجانب الجنوبي فعمدت فورا الى الانسحاب والافلات ، واخلت نهائيا الموضع الذي احتلته بجهود كبرى ، فسارعت القوات التركية انئذ الى اشغال موضع السلط الحربي الهام واطرافه بدون اية مقاومة تذكر من جانب العدو ، وبدون اية خسارة .

ولا يسعنا بعد ايراد هذه الحادثة الحربية التاريخية التي ذكرها القائد الالماني ، الا ان نقول بفخار واعجاب لبطلها ومبدعها :

« ما اشد الشبه بين هذه وتلك ، ثغرة السلط وثغرة اليرموك » .

لقد اضطر بعض قادة الروم الى الاعتراف ببطولة خالد حين قال :

« هذا الرجل قائد عظيم لا يبارى ، يقاتل عن عقيدة ومبدا ، له عقل ناضج ، فوالله لينتصرن علينا ولو كنا كالجراد الزاحف » .



## خطة موقعة اليرموك

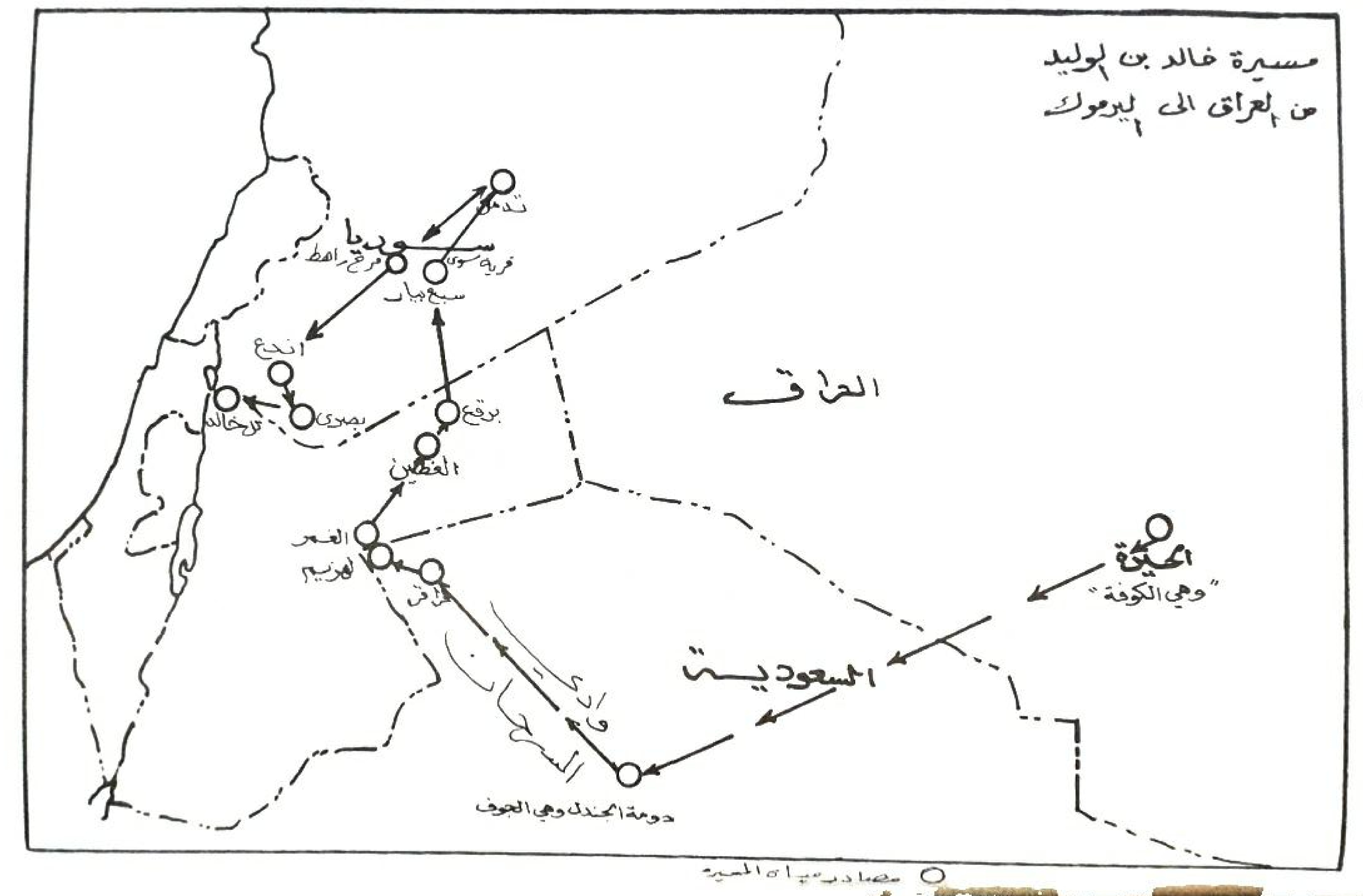
## خطـة موقعـة اليرمـوك

## نظـام سوقيتهـا وتعبئتهـا ومخططهـا

اجـل ، لقد قرأنا نص كتاب الخليفة ابي بكر الصديق الى ابي عبيدة بن الجراح قائد جيوش المسلمين في بلاد الشام . وعرفنا كيف اختار القائد الذي توسم فيه المعرفة والخبرة والقدرة والفطنة في أمور الحرب ، لان حسن اختيار القائد العام له تأثير كبير على سياق العمليات الحربية ونتائجها المتوخاة .

وقف خالد بن الوليد على ضفاف الفرات وبيده امر الخليفة ، يتطلع في حيرة الـى البادية الشاسعة المفروضة عليه اجتيازها ، وتزيد مسافتها على ستمائة كيلومتر . لا ماء فيها ولا نبات ، ولا انس ولا حياة ، لكن خالدا القائد الكمي المعلم ، عنيد مصمم ، عارف مدرك ، لا يمنعه مانع ولا يصده دافع ، ولا يرده عن غايته رادع ، ولو كانت الصحراء الرهيبة بالذات . وهاهي تتفرج بسعتها امام بصره . لكنها تضيق وتضمر في بصيرته ووعيه فيمضي في سبيله قدما الى حيث تنتظره الجيوش العربية بنافذ الصبر .

سار خالد من اطراف الحيرة ، واتجه غربا يخترق جوف الصحراء ووجهته دومـة الجندل وهي الجوف القرية التي تقع في منتصف الطريق بين بلاد العراق والشام . وما كاد يقترب من تخوم الشام حتى انحرف عن اتجاه بصري التي هي اولى مداخلها . وهي منيعة المعاقل ، عديدة الحصون ، ولم يكن يرغب في ان تقع على قواعد مستحكمة تحوله عـن الغاية التي يمم شطرها . فتحول عنها متجها الى قراقر عله يفاجيء مؤخرات جموع العدو الهابطة الى ميدان اليرموك . ووقف يستدل خبراء البادية وادلاءها لدى وصوله الى هذه القرية متسائلا «من لي بطريق اخرج بها على وراء جموع اليرموك؟» . انه سؤال يحمل فـي عبارته مفهوم السوقية الكبرى التي عرفها خالد ، وهي ذات الفكرة التي عني بها كبار القادة في التاريخ . انها فكرة الانطلاق للارتماء على مخالف العدو لقطع مواصلاته وزعزعته . وهو بسؤاله هذا كمن يبحث عن طريقة لمفاجأة العدو . والمفاجأة عامل من عوامل تحقيق الغلبة . ان أمامه عدة طرق سبلة الاجتياز . فاختار اقصرها مدى واسرعها اجتيازا . لان مهمته تستدعي العجلة ، وتفرض الاسراع . وكانت طريقا صعبة عسيرة مهلكة ، يتعذر على الركب الفرد سلوكها ، فكيف بهذا الجمع اللجب الذي يسوقه عبر ارجائها ؟ وقد قيل له « اياك يا خالد ان تغرر بجيش المسلمين وجنده » . انها وايم الحق عبارة مخيفة تهد القوى وتحطم العزائم . ان خالدا لم يعبأ بهذا القول ، فصمم على اجتيازها مهمـا كلف الامر . فاستكثر من الماء الذي حمله على ظهور الجمال ، وراح مسرعا في سيره يطوي الصحراء مدة خمسة أيام بلياليها في مرحلة طويلة يخالها السائر وكانها صفحة المحيط الواسع ، أو طريق اللانهاية ، الطريق التي طالما أودت بالعديد من الاحياء الى مستقر الفناء والتي طالما ضمت رمالها المحرقة عظام العطشى الهالكين .



مسيرة خالد بن الوليد
من العراق الى اليرموك
تدمر
سوريا
قرية سوى
مرج راهط
سبع بيار
بصرى
برقع
العمر
الحيرة
"وهي الكوفة"
السعودية
دومة الجندل وهي الجوف
وادي السرحان
مصادر مياه المسيرة

ولما كان اليوم الخامس وخالد لا يزال في بطن هذه المفازة المرهقة،قال لدليله سائلا « ويلك يا رافع،ما عندك ؟ » فراح رافع يفتش في اطراف القاع باحثا عن شجرة عوسج سبق له ان شاهدها وعرف مكانها فيما مضى ، وكان يرى ان الماء يستقر عند اصلها ، ولكنه لم يجد لها اثرا ، فصاح في يأس ومرارة ، والله لقد هلكنا جميعا ، واردف يقول: «أناشدكم الله الا ضبتم يمنة ويسرة علنا نجدها»؟ فضرب القوم ذات اليمين وذات الشمال وما لبثوا أن شاهدوا قاعدتها المقطوعة ، فاجاب : ابشروا .... الماء ... الماء ... محفر قليلا فنبع الماء من اطرافها فارتوى الجند ونقلوا حاجتهم واطمانوا بالنجاة والسلامة لقد استغرقت هذه الرحلة ثمانية عشر يوما منذ مغادرتهم أرض الفرات ، وكان معدل مسيرهم اليومي ٤٥ كيلومترا ، وهو معدل مضاعف اذا ما قيس بمراحل المشاة في العصر الحاضـــــــر .

وما عتم خالد أن فاجأ مخالف الروم عند « سوى » مفاجأة هائلة هزت منهم الاعصاب ، فهاجمها واستولى عليها ، ثم عرج على « تدمر » فاستسلم له اهلها بعد مقاومة يسيرة،واغار بعدها على «مرج راهط» ومنها انحدر الى«ازرع» حيث اتجه بعدها الى «بصرى» وهي مدينة تجارية . وكان ابو عبيدة قد انفذ اليها شرحبيل بن حسنة الذي لم يتمكن من احتلالها . بيد أن خالدا هاجمها واقتحم حصارها و حتلها عنوة وقسرا . وانتهى بـه المسير الطويل اخيرا الى وادي نهر اليرموك للالتقاء بجيوش المسلمين المترقبة . لقد فرح العرب بوصول خالد المفاجيء ، وكانوا على علم بأنباء انتصاراته الرائعة على الفرس ، واخبار احتلاله حصون ومعاقل الفرات التي استسلمت له حامياتها ، فتضاعفت عزائمهم ، وتعالت هممهم ، وقد قال ابو بكر في خالد « لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد » .

لبث الروم في ميدان اليرموك متحصنين في مواضعهم ، ويواجهون جيش العرب الذي امضه الجمود المبرح ، واسخطه هذا الضرب من القتال المتمركز الذي استمر طيلة ثلاثة اشهر . وقد عزز هرقل قواته بأن أرسل لقيادتها القائد « باهان » المشهور بفروسيته لديهم ، وخبرته الفائقة في أفانين الحرب والقتال .

**القوى المقابلة وتشكيلاتها التعبويـة قبل بـدء الموقعـة :**

بلغت قوات المسلمين بعد وصول خالد أربعين الفا ، بينما تعدت قوات الروم بعد وصول باهان مائة واربعين الفا ( حسب تقدير المصادر الاجنبية ) ومائتين واربعين الفا ( حسب تقدير المصادر العربية ) . وكان منهم ستون الفا من العرب الغساسنة بأمرة جبلة ابن الايهم . ومهما زاد او نقص هذا التقدير ، فالواقع ان الروم كانوا على تفوق كبير في العدد والعدة بالنسبة للعرب ، ولكنهم كانوا خليطا مختلفا متباين الاجناس والشعوب ، فكان منهم الروم والارمن والعرب وغيرهم . ولم تكن بينهم رابطة قوية تضم شملهم ، وتعزز معنوياتهم ، ولم يكن لديهم عقيدة ثابتة يجاهدون من اجلها . بل كان جلهم مسوقا الى القتال عنوة وقسرا .

اما جيش العرب المسلمين ، فقد كان يؤلف وحدة عربية موحدة متماسكة ، ووحدة دينية متينة العرى يدين افرادها كلهم بعقيدة واحدة . وكانت تعمر صدر كل امريء منهم قوة معنوية جبارة هائلة تضاعف من قوته الجسمانية الصلبة التي عجمت عودها الصحراء ، وشحذت قدرتها الغبراء ، فاصبحت كالفولاذ قوة وصلابة ، تستعذب التضحية وكأنها ملذة ، وتستهين بالموت وكأنه هوى . وكانوا جميعا يؤمنون ايمانا وثيقا بأنهم يجاهدون في سبيل الله من اجل غاية مقدسة ، سامية الاغراض والمقاصد . وكانوا على يقين ثابت من جزاء الاخرة اذا كتبت لهم الشهادة ، ومن نعيم الدنيا اذا قدر لهم النصر ، وكفى باغراء النعيمين احتسابا واجرا وخيرا وبرا . وقد تعاظمت معنوياتهم بهذين الدافعين الغالبين ، وازدادوا قوة وعزيمة وثباتا وصبرا .

وبالرغم من هذا التفوق المعنوي لم يكن جيش المسلمين في الواقع مستكملا عوامل التفوق والغلبة . فالقيادة لم تكن موحدة . وكان كل جيش يدير امره بنفسه ، ويضع خططه للقتال بذاته ، ويعمل منفردا مستقلا ، الامر الذي يحول دون تحقيق التعاون المشترك ، وهو امر لا يمكن أن تستقيم له غاية مركزة ناجحة . ولذا ظل المسلمون يتلقون تباعا ضربات الروم وهم عاجزون عن تعديل الوضع ، وتحسين موقفهم .

تفهم خالد ووعى بايحاء عبقريته الفذة ، وثاقب فكرة العارف المدرك ، ان الروم بدوؤا يتهيئون للخروج من مواضعهم ، وانهم اخذوا يعدون العدة للانطلاق والهجوم ، وتبدى له هذا الاستعداد من جراء كثرة التحركات والتنقلات العامة الناشطة بين وحداتهم وصفوفهم . كان خالد يعاين هذه الظواهر عن كثب ، ويستطلع تحركات العدو المستمرة ، فاستكشف نواياه وغاياته ، ولم يعد يخامره ادنى شك باقتراب موعد القتال فجمع اليه قادة الجيوش ، وكشف لهم عن حقيقة الموقف والوضع ، وخطب فيهم قائلا : «اهذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي . اخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم وان لهذا اليوم ما بعده» وتابع يقول منبها ومحذرا : « اني أرى العدو على نظام وتعبد وانتم على غير ذلك . وطلب اليهم أن يعالجوا الحالة بالمشورة ، وان يقرروا ويقرروا الامر بالرأي » . وعندما سألوه رأيه بالوضع أردف قائلا « ان الذي انتم فيه لاشد على المسلمين مما غشيهم ، وانفع للاعداء من امدادهم ». وطلب اليهم توحيد القيادة سراعا لانها ضمانة العمل الناجح . ودعا الى الاستعجال والمبادرة بالعمل لان العدو يستعد للعمل والمبادهة ، واستطرد يقول « ان رددناهم اليوم الى مواضعهم لم نزل نردهم ، وان هزمونا فلن نفلح بعدها ابدا ، فلنتعاون على الامارة بالتناوب . فليكن بعضنا اليوم ، وليكن غيرنا غدا ، والاخرين بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني اتأمر اليوم .

اجل ، لقد كان خالد بن الوليد حكيما وقائدا فذا لا يباري . لقد اثبت قدرته في فن القيادة ، وكان فيها القائد الفطن العارف الخبير بأمور الرجال والناس وشؤون الحرب المعقدة . لقد عاين فابصر بعيدا ، وادرك فعرف الواقع المنتظر . وعرض فاقر المعاونون

وجاهة الغرض ، وطلب الامرة عليهم فما اعترض احد عليها وولوه امرها . وكان بالفعل القائد المدبر الذي استطاع ان يحقق النصر الاعز الحاسم على عدو قوي عنيد متفوق بالعدة والعديد ، ولم يفاجأ ولم يباغت قط ، وضرب ضرباته المركزة ، فانهارت امامها القواعد والاركان ، والحصون والمعاقل ، وتراجعت امامها الجيوش والجحافل العتية، وهزم جيوش امبراطوريتين عظيمتين وفتح امام موجات العرب الزاحفة الطرق والسبل الواسعة لتنشر تعاليم الاسلام المثلى ، ومبادىء الحق والامن والعدالة والسلام واليسر والخير ، والعلم والنور على العالم الذي كان في غمرة مظلمة من الجهل والضلال والفساد . ويقول المؤرخون الاجانب ان انتصارات خالد بن الوليد في بلاد العراق والشام مهدت السبل بالفعل امام دعوة الاسلام الناهض ، لانتشاره وتوسعه، ولاكمال مهمته وغايته بقوة واندفاع، وكانت الدعامة القوية التي انبعث على جوانبها الاسلام طليقا في اتجاهه الحر الذي فتحه بحد السيف لمن اراد العداء ، وبالرسالة الاصلاحية الكبرى لمن ابتغى الصلاح والسلام . وقد مضى قدما الى اهدافه السامية وغاياته العادلة في عزم واطمئنان .

اجاب القوم اقتراح خالد دون تردد . فولوه فورا امرة قوات المسلمين عامة على جبهة اليرموك التي تعززت وتمكنت حتى غدت كالطود المتين .

## تشكيلات العرب التعبوية الجديدة :

كان نظام القتال عند العرب قبل موقعة اليرموك هو النظام القبلي الذي اعتمده شيوخ ورؤساء القبائل المحاربة في غزواتهم المألوفة . وكانت اهمية الرئيس الحربية تقاس بعداد افراده ، لا بالمواهب الحربية التي يتمتع بها . وكان توازن القوى يختلف تبعا لكل قبيلة بنسبة قوتهاوتسلحها وتشكيلها . لكن خالدا لم يرضى بمثل هذا الوضع الذي لا يمكن ان يؤدي قط الى نتيجة ايجابية ، او يحقق تفوقا منتظرا . فعمد الى تجميع كافة القوى الضاربة ليبدع منها تشكيلات تعبوية جديدة تتفق ووضع هذا الميدان . فبادر الى تاليف وحدات متجانسة من الرماة والقناصة ، وشكل وحدات اخرى من الفرسان والخيالة التي اصبحت جميعها وحدات متشابهة متعادلة في العدد والتسليح والقوة والتماسك ، والف منها كلها قرابة ٣٨ كردوسا ( كتيبة يبلغ عدد افرادها الفمحارب، وهي اقوى من الوحدة الافرنجية المسماة Brtoillon بما يقرب من الثلث )، ووضع على راس كل كردوس رجلا مشهودا له بالمعرفة والخبرة الحربية . والف الكتيبة من سرايا وفصائل ، ووضع كل واحدة منها تحت امرة رئيس مختار . اجل لقد ادخل خالد على نظام التعبئة تطورا جديدا انتظمت على اساسه تشكيلات جيوش المسلمين التعبوية التي صارت في حالة تمكنها من مجابهة تعبئة الروم الحربية النظامية، ومنازلة قواتها بصورة مضمونة اكيدة .

## نظــام موقعـــة اليرمـــوك :

تشكل نظام موقعة اليرموك على النسق التالي :

ـ المركز ( القلب ) بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، مؤلف من ١٨ كردوســــا اي /١٨٫٠٠٠/ مقاتـــــل .

ـ الميمنة ( الجناح والجانب الايمن ) ( ١ ) بقيادة عمرو بن العاصر وشرحبيل بن حسنة ١٠ كراديس /١٠٫٠٠٠/ مقاتـــــل .

ـ الميسرة ( الجناح والجانب الايسر ) ( ٢ ) بامرة يزيد بن ابي سفيان وقــد تشكلت من ١٠ كراديس /١٠٫٠٠٠/ مقاتـــــل .

وظل الباقي كاحتياط للجيوش الضاربة التي اتخذت نظام الموقعة المقرر . وبلغ مجموع قوات المسلمين الضاربة كلها حوالي /٤٠٫٠٠٠/ مقاتـــــل .

وعهد خالد الى ابي سفيان بمهمة القاص ( المفتش العام للجيش ) فكان يتنقل بين الكراديس يستطلع اوضاعها واحوالها وحاجاتها ، ويشحذ في قلوب افرادها دوافــع العزيمة على القتال والمجالدة ، ويقوي معنوياتهم ، ويثبت عزائمهم ، ويحثهم علــى الثبـــــات والصبـــــر .

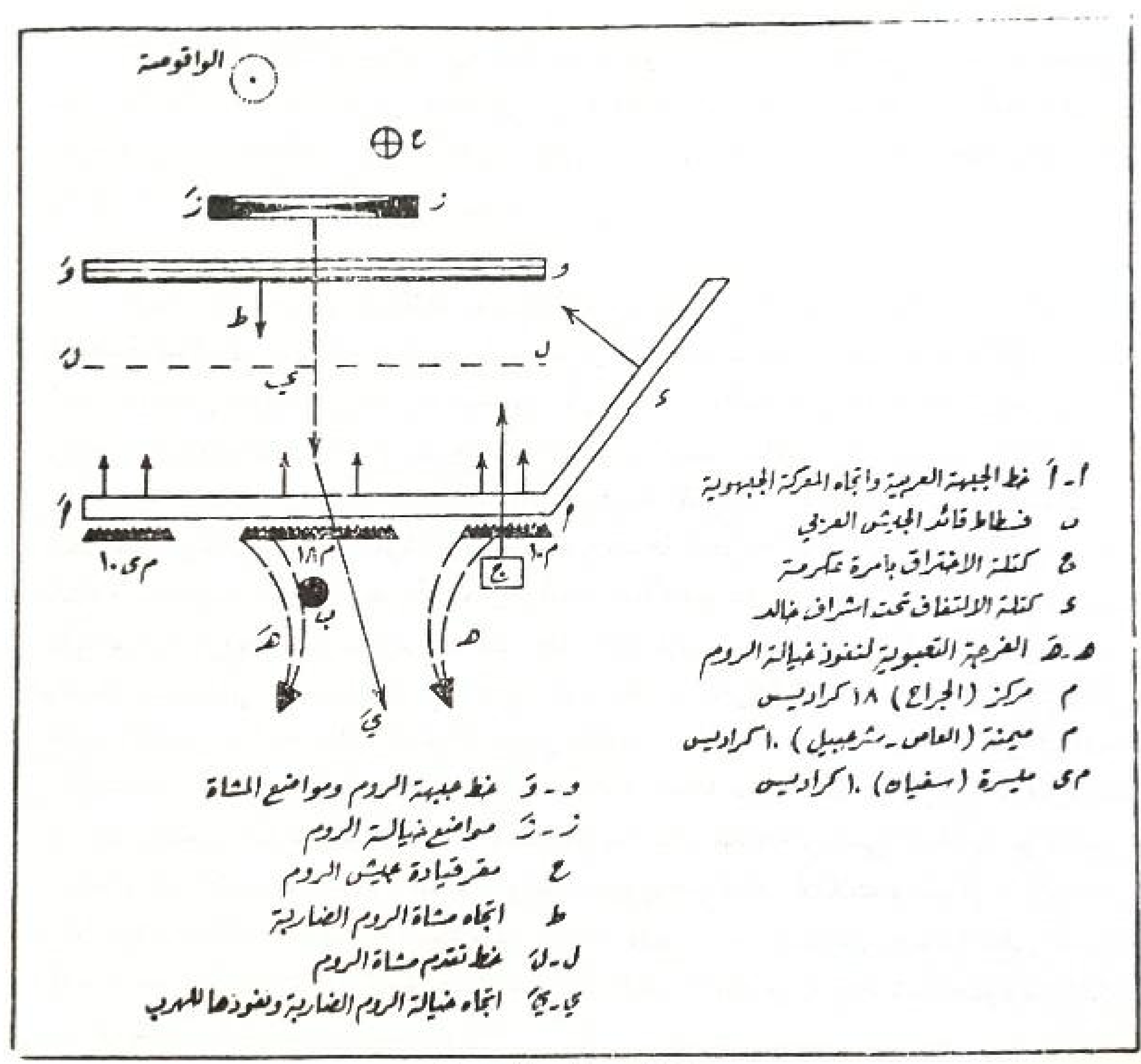
وخطب عمرو بن العاص في الجند قبـل الالتحام قائلا : ( غضوا الابصار كـي لا تهولهم كثرة العدو ) ، واجثوا على الركب ( للاستمعان والاستعداد والمفاجأة ) ، وشرعوا الرماح ( لاثارة خوف العدو وتثبيط همته ) ، وامهلوهم ( اي لا تتعجلوا بالاندفاع حتى تتبين اوضاع الخصم في القتال ) ، حتى اذا ركبوا الاسنة ( اي عند وصولهم في الاندفاع الى اقصى الجهد ) فثبوا في وجوههم وثبة الاســد ( لصدهــم بقوة ودحرهم نهائيا ) واستطرد يقول في معرض تشجيع الهمم واثارة الحماسة: ( والله لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونها قطرا قطرا وكفرا كفرا ، لا تهولنكم جموعهم وعدادهم ، فانكم لو صدقتم الحملــة لتطايروا تطايــر الحجول ) .

لقد حانت الساعة التي اعتمدها الروم لمهاجمة المسلمين الذين تحسن وضعهم وترتب حالهم واشتدوا قواما، وازدادوا نظاما وترتيبا . خرج الروم من مواضعهم وقد عبأ « باهان» الصفوف للقتال وبدا البطارقة والرهبان يحمسون الجند لمبادرة القتال .

## انطـــــلاق الموقعـــــة :

عزم خالد بعد ان ادرك ان انطلاق الروم سيبدأ عما قليل ، وانه لم يعد ثمــة سبيل للتريث والانتظار لتسلم زمام المبادهة ، فاوعز الى قوات الجبهة بمباشرة الزحف

مخطط رقم ( ٢ )




مخطط موقعة اليرموك

العام،وكان يرمي بهجومه الجبهوي هذا الى استدراج العدو نحوه لتفكك ارتباطات تشكيلاته التعبوية وبعثرة وحداته ، وتثبيت اندفاعه العام المندافع ليستطيع القيام بتدابيره التعبوية التالية. فارتطمت الصفوف الاولى. والتحمت المشاة من الطرفين في قتال عنيف ، وكانت المعركة سجالا بين مد وجزر ، وما لبث أن تحرك فرسان الروم وحملوا على المسلمين حملة قوية صادقة ازالتهم عن مواضعهم ، فالتوى خط الجبهة امامهم ، وراحوا يتوغلون فيها بعيدا حتى اشرفوا على فسطاط خالد ( المقر العام ) وقد تحرج الموقف على الجبهة ، وتماوجت الصفوف الضاربة من حدة القتال .

ومضى الرجال الصناديد من المسلمين يقاتلون ببطولة فائقة وعزم لا يكل،وبصفوف متراصة امام مقر امرة جيش المسلمين . وقد لعبت النساء العربيات الباسلات دورهن الرائع في هذه المعركة ، وكن يدفعن الرجال دفعا الى حلبة الميدان ، ويستقنهم بالحماسة لمداومة القتال الضاري .

وكان خالد يرقب عن كثب بعين نفاذة تطور القتال ، وكان ينتظر بفارغ الصبر اللحظة الحاسمة ، وكأنه على موعد مع قرار الموقعة الحاسمة التي يهدف اليها . وقد اندفع فرسان الروم دون حذر ، مبتعدين عن وحدات المشاة التي كانت تتقدم ببطء رويدا رويدا . وكانت تقتفي اثرهم وتتبعهم،وما لبث أن انفجرت ثغرة واسعة بين الفرسان والمشاة ، وحانت في هذه الاونة اللحظة الرهيبة المنتظرة ، وتبينت مرجحات القرار الحاسم ، ولتقترب موعد الموقعة الفاصلة، وعندها اطلق خالد عليها قواته الاحتياطية بقيادة عكرمة فتناولت ميسرة العدو وانصبت عليها كالسيل الجارف ، ثم فاجأ خيالة الروم ايضا بهجوم الالتفاف على مؤخرتهم ، وقد بوغتوا واحيطوا من الخلف والامام وحوصروا بين خالد الذي اندفع على اخلافهم بحركة الالتفاف . وبين عكرمة في هجوم الاختراق ، فسدت عليهم السبل والمنافذ . وانصب على صفوف العدو المتقدمة وابل هاطل من السهام الصائبة ، وتلقت صدمة ماحقة من الاسنة والرماح ، فتزعزع ووهنت وتبعثرت وتفرقت قواتهم ، واصيبت بخسائر فادحة ومضى الباقون يواصلون الاندفاع الى الامام مخترقين الصفوف وهم يبحثون عن منفذ للافلات والفرار ، فأوعز خالد بتركهم وشأنهم وافساح المجال حرا امامهم للهرب . ولم تمضى ساعة على هذه المفاجأة حتى خلت ساحة الموقعة من فرسان الروم الهاربين ، وتفرقت جموعهم ايدي سبا في كل صوب وحدب .

فرت خيالة الروم ، وظلت مشاتهم وحدها في الميدان . ورغم تفوقهم العددي فقد تزلزلت صفوفهم، وتزعزعت بفعل الهزيمة التي لحقت بخيالتهم ، والخسائر التي اصابتهم في هذه الكارثة الماحقة المبيدة . وكانت مشاة الروم الثقيلة البطيئة الحركة ، ركيكة الانتقال والتحرك . وقد شعرت بخطر التطويق والاحاطة فحاولت الارتداد الى الوراء

للعودة الى مواضع الانطلاق الاولى ، الا ان العرب سرعان ما شدوا على افرادها تراكا ، واقتحموا عليهم مواضعهم قبل أن يصلوا اليها ، كما انطلقوا يتعقبون فلولهم المبعثرة الشاردة فاندفع هؤلاء باتجاه منحدرات الوادي السحيقة للنجاة بالفرار من سيوف العرب ورماحهم العاملة في اقتيتهم وظهورهم ، وراحوا يهوون في مهاوي المنحدرات اعدادا وجموعا متراحمة . واستمر القتال طيلة النهار ، ومعظم الليل حتى وصل خالد الى رواق الروم .-وقد بلغت خسائر الروم في هذه الموقعة مائة وعشرين الفا قتل منهم من قتل وسقط منهم من سقط في الهوات السحيقة . وكانت خسائر المسلمين زهيدة لم تتعد ثلاثة آلاف قتيل فقط . وانتهت الموقعة الكبرى الظافرة بانتصار العرب وهزيمة الروم .

وبينما كانت تدور رحى الموقعة الجبارة ، وصلت الانباء تؤكد وفاة ابي بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب الذي عزل خالدا عن الامرة العامة ، وولاها أبا عبيدة بن الجراح الذي اخفى الخبر عن خالد حتى انتهاء الموقعة الظافرة .

ونحن لا نعرف قط حقيقة الاسباب الموجبة التي حدت بعمر أن يعزل خالد بن الوليد عن قيادة جيش المسلمين . وهناك تقولات عديدة متناقضة لا نرى أية حاجة الى بيانها وتبيان أسبابها ، ولا حتى الخوض في بحثها . ويقال أن عمر خشي جبروت خالد وقوته أو خاف تهوره واندفاعه ، بيد أن خالدا تلقى الامر بالرضى وقال : الحمد لله الذي قضى على ابي بكر وكان احب الي من عمر ، وولى عمر وكان ابغض الي من ابي بكر ،ثم الزمني حبه . هنا تبدو بوضوح عظمة القائد العسكرية، وسمو روحه الفياضة التي عمرت بالايمان والتضحية ، وترفعت عن الانانية وارضاء الذات ، واكتفت بالخضوع لدافع الواجب والمصلحة العامة . ويقول المؤرخون العرب أن عمر ندم فيما بعد على ما تقدم منه ازاء خالد عندما سمع بأخبار بطولاته الجبارة وانتصاراته الرائعة في جميع المعارك التي ساهم فيها وكسبها بعد عزله حتى انه قال : رحم الله ابا بكر فقد كان اعلم مني بالرجال . أجل ، لقد كانت موقعة اليرموك الظافرة بداية عهد جديد للعرب دال على عتباته جبروت الروم وطغيانهم ، وانهارت دعائم اخر قوة اجنبية مسيطرة على ربوع بلاد العرب التي كان في وسعها أن تتصدى لانتشار رسالة العرب السائرة قدما في سبيل توطيد دعائم الحق والعدالة ونشر المبادىء المدنية والانسانية المثلى ، وكانت ضربة قاصمة نزلت على هام الظلم والاستعباد فحطمته تحطيما .

## موقعة اليرموك

### نظام سوقيتها العامة

يتضح لنا من معاينة مخطط السوقية العام للجيوش العربية التي تقرر حشدها على اطراف بلاد الشام لمواجهة جيوش الروم المعسكرة في ارجائها ، ان خطة الحرب العامة التي وضعها الخليفة الاول ابو بكر ، والتي تناولت خطة الحشد العام، وخطة العمليات الحربية لهذه الساحة الكبرى ، كانت فائقة منظمة ، جرى ادراكها بموجب اسس حربية وجيهة مختارة . وقد ساعدت هذه الخطة على تسهيل سباق المناورات السوقية المنطلقة ، وتدرج العمليات الحربية التي تفرعت عنها ، وتراجع الجيوش العربية كلها بصورة امينة للاجتماع في جوار وادي نهر اليرموك ، وهي التي مهدت بالتالي الى تركيز موقعة اليرموك ذاتها تركيزا ثابتا ، واتاحت للعرب عامل التفوق، وهيأت لهم الظفر المطلق والفوز الحاسم .

ان خطة الحشد الكبرى المفروضة التي قامت الجيوش العربية بانجازها وتنفيذها تشبه الى حد كبير حركات الجيوش الحديثة التي اتبعها كثير من كبار القادة امثال نابليون الافرنسي ومولتكه ولوندورف الالمانيين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وهي بلا ريب خطة تستحق الدراسة والتحليل لما تشتمل عليه من تعاليم حربية قيمة يمكننا الافادة منها. وانها تزيدنا اعجابا وفخارا بعبقرية اجدادنا العظام الذين عاشوا في عصر كان فن الحرب فيه اقتباسا واقتداء عقليا،وابداعا وخلقا فطريا،ولكنه لم يكن قط سياقا دراسيا تعليميا كما هو عليه الحال في عصرنا الحاضر ، تجهزنا به المدارس والكليات الحربية على اختلافها ، وتمضي سنون عديدة في تعلمه بالتدريب والتمرين المستمرين، وبالتجارب الحربية التي نادرا ما تعرض لنا ، أو بالاحرى نظل نمارس هذا الفن طيلة حياتنا العسكرية المسلكية ، وما اشبه هؤلاء القادة العرب بالقادة العباقرة الذين انجبتهم العصور البعيدة امثال سن تسه الصيني ، واسكندر الاكبر المقدوني ، وهانيبعل القرطجي وقيصر الروماني ، وفريدريك الكبير البروسي ، وغوستاف أودولف السويدي وغيرهم من اعاظم الرجال العسكريين .

اجل ، لقد ترتبت سوقية العرب على حشد اربعة جيوش كبرى ، اعطى لكل واحد منها اتجاه خاص وهدف معين . وكلف كل منها بتنفيذ مهمة معينة . وفرضت وجوب تحقيق التعاون المشترك والارتباط الوثيق بينها اثناء قيام كل جيش من هذه الجيوش بالعمل الموكول اليه . فانطلقت هذه الجيوش قدما وفق اتجاهاتها المرسومة ، وتقدمت نحو اهدافها بأرتال متلاحقة دون قيام تكتل يعرقل السير ويعيق الحركة الحرة،ويعرضها لمفاجات العدو المحتملة ، وكان كل جيش يغطي تقدم الجيوش الاخرى الزاحفة ويؤمن لها تدابير الامن المفروضة .

وكان الجيش الاول بقيادة يزيد بن ابي سفيان يسير على محور المدينة ــ تبوك ــ البلقاء وهدفه الاخير دمشق . وكان يؤلف الطليعة العامة المتقدمة لتغطية الجيوش الاخرى . وكانت مهمته ترمي الى تمهيد السبيل ، وتطهير الفازات ، ودحر قوات العدو المرابطة على الحدود العربيــة ودفعها الى الوراء .

وكان الجيش الثاني بقيادة شرحبيل بن حسنه ، وكان يتعقب اتجاه الجيش الاول ويسير في اثره . وكان بمثابة دعم واسناد مباشر له في حالة تقدمه، ودرعا تقيه شر العدو فيحالةقيامه بأية حركة اجتياز او تطويق . وتعينت مهمة هذا الجيش في احتلال مدينة بصرى الشام ذات الاهمية السوقية البالغة لقربها من الحدود العربية ، وكونها سوقا تجارية كبرى لجموع القبائل العربية ، ومركزا سوقيا هاما بالنسبة الى قوات الروم المرابطة على اطـراف سوريــة .

ويتبين لنا بصورة واضحة من المخططات السابقة اهمية الاتجاه السوقي الـذي اعتمده الجيشان المذكوران انفا ، وفقا لخطة السوق العامة ، وامكانه تسهيل اندفاع الجيش الثالث وتقدمه بقيادة ابي عبيدة بن الجراح الذي كان محور سيره يمر عبر البلقاء،متجاوزا مدينة دمشق باتجاه حمص ، هدفه الاخير ، وعاملا على مؤخرات الروم.

اجل ، لقد كانت مهمة هذا الجيش مهمة سوقية واسعة المدى ، بالغة الاهمية ترمي الى تمكين حصار دمشق من قبل جيش شرحبيل ابن حسنة ، وتغطية ازاء اية مفاجأة عارضة يمكن أن تقوم بها قوات الروم من جهة الشمال ، واخيرا قطع مواصلات جنوب سورية عن شمالها وعزل مدينة دمشق عزلا تاما ، وايقاف او تأخير وصول اية نجدات جديدة يرسلها العدو لنصرة المدينة ، وفك حصارها المضروب ، واقتناص قوافلهـا وميرتها عبر الطريق . وكان بوسع هذا الجيش ايضا وهو يقوم بمراقبة العدو أن يعاون الجيش الثاني في تشديد الحصار . وان يقوي بالتالي معنوية الجيوش الضاربــة فــي الجنوب ويساعدها على تمكين وضعهـا تمكينا قويـا .

بيد ان مهمة الجيش الرابع بقيادة عمرو بن العاص اقتصرت على غاية التقـدم لاحتلال فلسطين ، تلك الاراضي التي كان الاسلام والعرب يعتبرونها بلدا مقدسا ويجلون قداستها اجلالا كبيرا . وكانوا يتهافتون بعزم واندفاع لانتاذها من ايدي الروم مهما كلف الامر . وكان محور اتجاه الجيش « المدينة ــ تبوك ــ العقبة ــ غزة ــ بيت المقدس». وكان بالطبع اقل تعرضا ، لان ميمنته كانت محمية بفعـل اتجاهات سير الجيـوش العربية الاخرى وتقدمها ، وميسرته كانت مستندة الى ساحل بحر الروم ( البحر الابيض المتوسط )في حالة فلسطين . وكان ميدان فلسطين في الواقع اقل اهمية من الوجهـة الحربية بالنسبة الى الميادين الاخـرى .

هذه هي خلاصة الخطة السوقية الكبرى التي وضع خطوطها العريضة الخليفة ابو بكر . وهي تشير بوضوح تام الى دقة التخطيط والتوجيه ومرونته ، ووجاهة المحاور واهمية الاهداف العامة المعينة. وهي خطة سوقية مستوفية للشروط العسكرية والحربية وقال فيها احد كبار القادة المؤلفين العسكريين الالمان الجنرال فون دركولتز " Vonder Goltz " ما نصه :ـ

« انني لا ابالغ اذا قلت ان الخطة السوقية العربية ضد جيوش الروم على بلاد الشام . كانت حقا خطة سوقية بارعة ، قل من ابدع مثلها من القادة السوقيين عبر العصور . انها تكشف الادراك الصادق ، والتنظيم المتقن ، والتوجيه الصحيح والاتجاه الرئيسي البارز . والاهداف الكبرى . وجدير بخطة مثل هذه ان يتوفر لها النجاح . ولو ان الجيوش العربية كانت منذ البداية على شأن اكبر بالمقارنة مع قوات الروم العديدة ، لتفوقت عليها حتما قبل الحشد والتجمع بصورة مباغتة ، ولطردتها من كافة ارجاء واطراف بلاد الشام ، ولما نقل الينا التاريخ تفاصيل موقعة اليرموك الكبرى الفاصلة ، والتي كانت سياقا طبيعيا وخاتمة رائعة لتلك السوقية الوافية التي لا يسعنا الا ابداء عظيم التقدير لمبدعها وموجهها الفذ» . وبالتالي فاننا اذا اضفنا الى السوقية الانفة الذكر ، ملحقها التكميلي الذي اوعز بــه الخليفة الى خالد بن الوليد لنقل القسم الاكبر من قواته الضاربة في ساحة بلاد العراق الى ساحة بلاد الشام الحربية ، نرى ان السوقية العامة التي نحن بصددها سوقية كاملة الاطراف والنواحي .واننا لم نلمح في نظامها وتنظيمها اي ضعف او عجز،ولا اي وهن او تصور،وانها بحق لتدل دلالة واضحة على مبلغ عبقرية القادة العرب المسلمين الحربية الفطرية،مضافة الى عبقريتهم الفكرية والعقلية والادبية التي فاقت عبقريات رجال الشعوب الاخرى .

لقد أوجس الروم خشية وخيفة من هذا الاندفاع الجبار الذي ما توقعوه اصلا والذي ما خطر على بالهم يوما . وهو ان اولئك العرب التجار والرحل القابعين في وسط الصحراء ، سينهضون نهضة جبارة تهدد القصور والعروش ، والممالك والامبراطوريات العريقة حافزهم سر خفي عجيب . ورائدهم اندفاع روحي قوي مخيف ، لا يحدهم حد ولا تستوقفهم قوة ، لقد احسوا بأن امبراطوريتهم الكبرى تهتز اركانها وقواعدها هزا عنيفاً ، فهرعوا مسارعين لانقاذها ، وجندوا من اجلها وفير السلاح والعدة، ليلاقوا بها موجات هذه الالاف المحدودة من العرب . وكانت جموعهم زاخرة ملأت السهل والوعر وقد جاؤوا ينازلون بها هؤلاء الفاتحين الجدد ، واعتمدوا على العدد الكثير اللجب، والسلاح الوفير الخصب ، والقدرة والحيلة المنظمة . والقيادة المعروفة المشهورة، والخطط المرتبة المرسومة . شاهد العرب الخطر المحدق بهم بعيونهم الباصرة،وادركوا بعقولهم الواعية ، وابصروا الزحف الهائل يتقدم نحوهم بتؤدة وثقل من مختلف الانحاء وهو يسير للالتقاء بقواتهم المعنة في التقدم على انفراد ليمزقها شر ممزق ، ويعيد فلولها بعيــدا في جوف الصحراء العربية من جديد .

اجل ، كان تفوق العدو ، اي الروم ، تفوقا ظاهرا لا يمكن اخفاؤه عن الابصار وكان الوضع الحربي العام الذي يحيط بالعرب يتهددهم بخطورة بالغة،وكان تدني قوة هؤلاء بالنسبة الى قوة العدو امرا واضحا لا جدال فيه ، وكانت الخطة التي اعتزمها الروم ازاء العرب خطة مهلكة مبيدة . اذن فماذا على العرب ان يعملوا ويتصرفوا ازاء حالة كهذه . لقد فكروا مليا وقرروا اخيرا اعتماد خطة جديدة تقلب الوضع راسا على عقب ، وتعمل على اضعاف تفوق العدو بافساد خطته الحربية الراهنة والتمكن اخيرا من اختيار موضع حربي جديد يحرزون فيه التفوق مهما امكن الامر ، وانه لقرار جديد خطر يتطلب الحزم والعمل والسرعة . فاقره كافة قادة الجيوش العربية بالاجماع . وكان هذا القرار يقضي بوجوب التراجع حكما لتعطل خطة العدو العامة ، والانسحاب الى مكان اخر اكثر ملائمة مع الوضع العام المواجه ، اي الى جنوب وادي نهر اليرموك حيث سيكونون هنا بالطبع في مأمن ، وقريبا من الصحراء ، يواجهون حالتين لا ثالث لهما فالميدان امامهم اذا اعتمدوا القتال ، والصحراء وراءهم اذا ارادوا النفوذ ، ليرجعوا من حيث اتوا بانتظار كرة اخرى . بيد ان العدو توقف اخيرا عن الملاحقة،وتربص في شمال وادي اليرموك . فتوقف العرب انئذ ، وكفوا فورا عن الانسحاب ، ورابطوا امامه واعتزموا الحل الاول اي خوض القتال .

والواقع الذي لا ينكر أنخطة السوق هذه اعانت العرب عونا بالغ الحد.لقد هيأت ومكنت لهم تقدمهم ، كما انها مهدت وسهلت لهم تراجعهم بأمن وسلام وارتباط وتعاون، وانقذتهم بالفعل ومنعت عنهم الكارثة المحققة . ثم ما لبثوا أن تقدموا الى شعاب أودية نهر اليرموك الشمالية ليأخذوا مواضعهم الجديدة . فتربصوا فيها وصمدوا ورابطوا وصبروا وصابروا بانتظار ساعة الموقعة الرهيبة الظافرة ، موقعة اليرموك التي سنأتي على تفاصيل وقائعها فيما يلي :—

## نظام موقعة اليرموك
## المطالمات والتعليقات

مضت الجيوش العربية باتجاه الجنوب توالي انسحابها بانتظام مضطرد ، بينما كانت جحافل الروم الثقيلة الزاحفة،وراءها على مدى تتعقب اثرها ببطء. وماكان في مقدرتها مهما حاولت وجهدت اللحاق بها وادراكها قبل الوصول الى مشارف الصحراء النائية البعيدة. وكانت القيادة العربية المشتركة على مزيد من يقظة وفائق حذر،ترقب عن كثب تحركات العدو كافة،محاولة استجلاء اتباهاته الحربيةواستكشاف اتجاهاته السوقية المقصود لم تغفل لحظة واحدة عن تأمين التماس معه طيلة مدة الانسحاب وكانت تسعى حثيثا لتتبين سياق سوقيته ، وتتفهم غاياته ومراميه ، وما عتم الروم ان كفوا اخيرا عن متابعة الملاحقة ، مقدرين خطأ ان العرب لن يعيدوا الكرة ثانية بعد هذا الانسحاب الطويل الشاق مكتفين بهذا القدر من الجهد. فانهم ، اي العرب ، لن يتوقفوا قبل

وصولهم الى حدود الصحراء ، وانهم لن يتصدوا بعد لجحافل الروم الجرارة . ولن يحاولوا خوض القتال معهم مرة اخرى ، وانهم سيرحلون عن بلاد الشام ليعودوا الى بلادهم نهائيا مرجحين الفرار على القتال . بيد ان العرب كانوا هذه المرة على نقيض ما عرفوا عليه بالامس . لقد اصبحوا امة موحدة ذات نظام وقيود ، وصاروا دولة منظمة يشرف عليها خليفة نافذ الراي والامر ، يتمتع بسلطان روحي مطاع عظيم القدر. وهم مكلفون بتنفيذ الاوامر الصادرة اليهم لا يحيدون عنها قيد انملة . ولو كان دونها الموت الزؤام ، او الفناء المحتم ، وان عليهم مهمة مقدسة موجبة التنفيذ لا اعراض عنها ولا انفكاك منها الا بامر جديد يصدر عن ذلك السلطان العتيد .

هذا الظن الذي اشرنا اليه ، هو الذي دفع الروم بالفعل الى التوقف عن ملاحقة العرب والتربص في مكان حصين يأمنون فيه غارات العرب العارضة اذا عن لهؤلاء شن غارات جديدة ، وبذلك يمعنون جوانبهم التي استندت الى قواعد الجبال الشاهقة المجاورة ، ويحمون مؤخرتهم التي تتركز على قواعد بلاد فلسطين التي ما تزال تحت سيطرتهم وقيد امرتهم . فعرجوا عندئذ الى وادي اليرموك ليعسكروا في مكان هادىء مريح تصلح فيه الاقامة والمكوث المؤقت . وما كان ليعقل ان قائد جيش الروم العام البطريق « باهان » المشهور بمعرفته وخبرته في الحرب ، يختار مكانا كالمكان الذي نشبت فيه الموقعة الكبرى ليكون ميدانا للقتال الخاسر ، وليقاتل على حرج في ارجائه الضيقة قوات العرب المعروفة بخفتها وسرعتها ومرونتها وروحها الحربية . ولو قبلنا جدلا بما اوصى به هرقل قائده العارف المجرب بوجوب اختيار ميدان «واسع العطن والمطرضيق المهرب ليعبىء فيه جموعه الجرارة»،وهو ما لا نعتقد بصحته اصلا وقد يكون المؤرخون اوردوا مثل هذه الاسطورة كحاشية لا تقوم على بينة وثيقة ـــ فكيف يجيز باهان لنفسه اختيار مثل هذا الميدان الذي لا يتسع حتى لجزء بسيط من قواته ؟ . وما كان هرقل في الواقع ليدرك مسبقا متى واين يتوقف العرب ليعين كما قال لقائده مثل المكان الموصوف؟ وما كان في مقدرته ان يفرض عليه مثل هذا الشرط الحربي . وباهان قائد كبير معروف، يعرف متى يسيربجيوشه واين يقف ؟ وهل كان باهان يا ترى من الغباوة والجهل حتى ولو فرض عليه اجراء ذلك ان يختار لنفسه ولجيشه مثل هذه الحفرة التي مهما اتسعت. فانها لن تتسع الا لتكون مقبرة كبرى يتردى في هاويتها من يريدها ميدانا لقتال ، وهو على راس جيش ضخم كجيش الروم اللجب في ذلك الحين؟ وقد تبدى هدف باهان واضحا منذ البداية وهو ملاحقة العرب دراكا ، ومطاردتهم والالتحام معهم اذا امكن في مكان يتيسر له فيه الغلبة الهينة ، والظفر المحقق ، في مكان يكون فيه بالنسبة الى جيشه اكثر حرية وسهولة للحركة والانتقال والالتحام والقتال . فهل كان ميدان اليرموك هذا هو الميدان المختار؟ وما هو الدافع الوجيه لاختيار مثل هذا المكان الضيق المخرج ؟ لقد كان جيشه في الواقع كما عرفناه على تفوق هائل، وما كان ليخشى هجوم العرب المفاجىء وهم في حالة ادبار وانسحاب مستمر ، وما كان جيش العرب الصغير ليشكل خطرا بالغا على جيش كبير كجيش الروم .

والواقع ان باهان كان يعرف حق المعرفة ان جيشه الزاحف لن يستطيع قط ادراك قوات العرب المنسحبة . ولا يمكنه اللحاق بها ، وان العرب كالنعام الطائر خفة وحركة واغارة. ولذا فان ملاحقته لهم لن تأتي بأية نتيجة ايجابية ، ولن يصيب منها سوى العناء والارهاق والنصب والخسران . اذن فالاولى به ان يكف عن الملاحقة الفاشلة ، وان يتركز في موضع ما بانتظار انتهاء الازمة العارضة .

ومن المؤكد ان باهان لو عزم بالفعل على خوض موقعة كبرى كالتي خاضها مع العرب في جوار اليرموك لما عمد الى مثل هذه التعبئة الواهية بالنسبة الى العرب ؛ ولما اختار ميدان اليرموك الذى لا يمكن ان يختاره سوى قائد خبل يجهل اسس الحرب وقواعدها الركيزة ، بل لترك جزءاً من قواته الضاربة تعمل على ايقافهم وتثبيتهم ، وقد استوقفهم بالفعل عدة اشهر على ضفاف اليرموك ، ولمضى بجيشه الضخم عبر فلسطين ، وضم اليه حامياتها العديدة[٥]، ولانطلق قدما نحو الجنوب الى منطقة العقبة ليقطع على كافة الجيوش العربية خط رجعتها ، ولعرج عائدا باتجاه الشمال ليلتقي بالقوات العربية المرابطة على نهر اليرموك ، فيطبق عليها عندئذ من الشمال ومن الجنوب ، هذه هي السوقية المفروضة التي يمكن ان يعتمدها لو قصد باهان عملا حاسما في موقعة فاصلة حاسمة يخوضها مع قوات العرب .

بيد أن باهان لم يفكر قط بمنازلة العرب في موقعة كبرى ولم يتصور ان ينازله هؤلاء العرب ويقحموه كما فعلوا في موقعة اليرموك عن واقع تصور وتصميم مطلقين. فقد استهان بالفعل بعدوه ، ولم يتبين مبلغ عزمه ، ولم يقدر براعة القيادة العربية وخبرتها ، وقدرة جيوشها الضاربة وامكاناتها في الصدام ، ومعنوياتها التي فاقت حد تصوره ، فأخطأ الحساب والتقدير كما اخطأ التقرير وحسن التدبير ، فلقي المصير المنتظر عقاب غروره والحق بجيشه الهزيمة والدمار وانتصر العرب بفضل درايتهم وخبرتهم في موقعة غير متكافئة الحدود والعناصر مع عدوهم .

ويقينا أن ما قلناه عن موقف باهان وتصرفه هو نتيجة الاعتقاد او الظن الذي جال في خاطره وخامره بأن هذه الغزوة الجامحة على سعتها ونظامها الجديد ليست سوى غزوة عارضة مؤقتة شبيهة بالغزوات العربية السابقة التي كانت تقتحم بين الحين والاخر حدود بلاد الشام ، وانها لن تلبث ان تعود ادراجها من حيث اتت عبر الصحراء الواسعة النائية التي لا ترام ولا تطال .

واخيرا كل ما يهمنا من الموضوع ان نواجه الواقع التاريخي كما هو بوضعه الراهن وان نكتفي بمعالجة الوضع في الميدان بالذات حيث تدرجت الموقعة وتوسعت تباعا كي لا نخوض في سياق تحليل مسهب يبعدنا عن موضوع دراستنا الموجزة التي نحن بصددها .

اجل،لقد توقف العرب عندما وحيثما توقف الروم لانهم كانوا على عكس ما ظن بهم عدوهم باهان . لقد كانوا على تصميم ثابت ، لا سبيل الى زعزعته ، وهــو قرار القتال الذي لا بد منه حالما تتهيأ المناسبة ، وقد تهيأت في الواقع . وبدؤوا يرقبون وضـع العـدو العام باهتمام وتأمل ، متسائلين ما هو فاعل ياترى ؟ واخذوا يعاينون المواضع التـــي تخيرها ليرابط فيها . بيد أن القيادة العربية كانت عارفة فطنة الى اقصى الحدود، وقد ادركت بجلاء ووضوح وضـع العدو النهائي الخطر الذي اختاره بذاته . بحكم تربصه في مكان غير صالح وغير ملائم لعمليات الصدام والقتال .

وكان العرب ، كما اشرنا فيما تقدم ، يرغبون في قتال العدو ولكن في مجال تعبوي يؤمن لهم عامل التفوق وسهولة الحركة والتناور ، عامل التفوق بفعل حصره في ميدان ضيق لا يساعد على الانتشار للقيام بعمليات واسعة كالتي يمكـن أن يقوم بها هـذا الجيش القوي اللجب . وتتعذر فيه الحركة الحرة المرنة التي تسهل له الانطـــلاق والهجوم على قوات العرب. اجل ، لقد تبينوا وضـع العدو العام مليا،وعندها اعتمدوا مجابهة جيوش الروم بعزم وقوة،ولذا عرفنا لماذا توقفوا فوراوكفوا عن الانسحاب،وارتدوا اخيرا لمقابلة جبهة العدو بجبهة مماثلة مباشرة . ومما يؤكد عزيمة العرب الجديـــدة لاستئناف القتال بعد تفهم الوضع العام وتبينه ، صيحة عمرو بن العاص الداوية بالناس يبشرهم بالخير قائلا: «والله لقد حصرت الروم،وقلما جاء محصور بخير». قول مشهور معروف ارتكز على واقع حربي بين لا لبس فيه ولا اشكال . لقد حصر الروم حقـــا، واغلقوا على انفسهم الحصار الطبيعي بأيديهم دون سبب او مبرر ، او حاجة او دافع ولم يعد من سبيل امامهم الا القتال او الاستسلام ، فقاتلوا فكانت الموقعة الطاحنـــة الظافرة التي خاضها العرب رغبة ووجوبا ، واجرا واحتسابا .

## مسيرة خالد بن الوليد

**ملخص الخطط**



بسم الله الرحمن الرحيم

# مسيرة خالد بن الوليد

## ملخص الخطط

الخليفة ابو بكر الصديق للسنوات ١١و١٢هـ الموافق ٦٣٤و٦٣٥م استكمال لغزوات الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بعد انتقاله للرفيق الاعلى.

٠١ اتم الخليفة ابو بكر حملة اسامة بن زيد لغزو الروم المتمركزين بالقرب من مشارف بلاد الشام، ودحرهم حتى الكرك واحتل ايل — بين معان و وادي موسى — حيث توغل اكثر مما خطط له من قبل الخليفة الصديق.

٠٢ تقدم المثنى بن حارثة الشيباني للعراق حتى شط نهر الفرات وايضاً دحر قوات الفرس المتمركزة بين الحجاز والعراق.

٠٣ أمر الخليفة ابو بكر القائد خالد بن الوليد وعياض بن غنم بالتوجه الى العراق من كلا طرفيه لاحتلال الحيرة.

٠٤ أمر الخليفة ابو بكر الصديق خالد بن سعيد بالتوجه الى منطقة تياء لمراقبة حدود بلاد الشام وتجنب الاشتباك مع الروم.

٠٥ بعد فتح الحيرة امر الخليفة الصديق الجيوش الإسلامية الاربعة بالتوجه الى بلاد الشام على ان يبقى خالد بن سعيد في منطقة تياء كاحتياط عام لنصرة الجيوش.

٠٦ بعد دخول الجيوش الاسلامية بلاد الشام والتوغل فيها استأذن خالد بن سعيد الخليفة للتحرك شمالاً خلف الجيوش الاسلامية فوافق له الخليفة شريطة ان لايتوغل كثيراً. ولكن خالد بن سعيد خالف توجيهات الخليفة وتوغل شمالاً فوقع في مصيدة القائد الروماني البطريق باهان وهزم في المعركة وكاد الرومان ان يقضوا على جيشه لولا نجدة عكرمة بن ابي جهل وتسلمه القيادة مكانه.

٠٧ نظام سوقية الجيوش الاسلامية على بلاد الشام.

أ. الجيش الاول بقيادة يزيد بن ابي سفيان هدفه دمشق ومحور سيرة تبوك — البلقاء. و يعتبر مقدمة الجيوش الاسلامية.

ب. الجيش الثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة هدفه بصرى عاصمة حوران ومحور سيره نفس مسيرة الجيش الاول.

جـ. الجيش الثالث بقيادة عمرو بن العاص هدفه احتلال فلسطين ومحور سيره الطريق الغربية عبر العقبة.

د. الجيش الرابع بقيادة ابو عبيده عامر بن الجراح هدفه حمص ومحور سيره نفس محاور الجيش الاول والثاني.

٠٨. تنبه قادة الروم لتحرك جيوش المسلمين واستعدوا قبل وصولهم مما اجبروهم على تغير خططهم. وبعد ان تم احتلال ارض الكرك والبلقاء من قبل جيوش المسلمين اجتمعت الجيوش الاربعة في ارض معركة اليرموك واتخذت لها مواقع مقابل الجيش الرومي بالقرب من وادي الحرير للجهة الجنوبية الشرقية من وادي اليرموك حيث الجيش الرومي اخذ مواقعه على شعاب نهر الرقاد ووادي علان احد روافد نهر اليرموك الذي سمي بوادي خالد تخليداً للبطل خالد بن الوليد.

٠٩. بعد ان ادرك قادة الجيوش الاسلامية خطر الموقف لكثرة نجدات هرقل لجيوشه المتمركزة امامهم كتبوا للخليفة ابو بكر واخبروه بخطورة الموقف حيث أمر الخليفة ابو بكر خالد بن الوليد بالتحرك الفوري من العراق لنجدة الجيوش الاسلامية في بلاد الشام وامره بتسلم القيادة العامة للجيوش حال وصوله و يكتب الخليفة ابو بكر كتاب ثان الى ابو عبيده عامر بن الجراح يعلمه بتسلم خالد قيادة الجيوش الاسلامية حال وصوله لهم قائلاً «اما بعد فقد وليت خالد امرة قتال العدو في ارض الشام فلا تخالف واسمع له واطع لا لأنه اخير منك عندي ولكن له خبرة حربية وقتاليه ليس لأحد».

٠١٠. بعد طرد جيش الروم من وادي عربه بقيادة البطريق سيرجيوس في اتجاه غزة اوعز يزيد بن ابي سفيان الى ابي أمامه على راس قوة من فرسان المسلمين لمطاردتهم والالحاق بهم وابادوا قسم كبير منهم عند قرية داثن مما جعل عظيم الروم هرقل يجهز جيوش كبيرة العدد والعدة لمواجهة جيوش المسلمين في ارض معركة اليرموك على النحو الآتي:

أ. جيش تيودورث (٩٠) الف مقاتل مقابل جيش عمرو بن العاص.

ب. جيش فيقازنسطوس (٦٠) الف مقاتل مقابل جيش ابي عبيده.

جـ. جيش جرجه (٥٠) الف مقاتل مقابل جيش يزيد بن ابي سفيان.

د. جيش دراقص (٤٠) الف مقاتل مقابل جيش شرحبيل بن حسنه.

بلغ عدد جيوش الرومان (٢٤٠) الف مقاتل بعد ان زج هرقل جيش الغوطه الواقعة شرقي دمشق بقيادة القائد الروماني الشرس البطريق باهان وكان بين جيوش الروم (٦٠) الف عربي غساني بقيادة جبله بن الايهم هذا حسب التقديرات الشرقية. أما حسب التقديرات الغربية فأن عدد الجيوش الرومانية تقل عن هذا العدد و بلغ عدد جيش المسلمين بعد وصول نجدات العراق لليرموك بقيادة خالد بن الوليد (٤٠) الف مقاتل.

مسيرة خالد بن الوليد من العراق إلى اليرموك



المسافة والفترة بين المواقع
قطعت هذه المسافة خلال
٢٥ يوم

الحيرة - الجوف ٥٤٧ كم
الجوف - قراقر ٢١٠ «
قراقر - المزيخ ١٥٠ «
المزيخ - النصيب ١١٠ «
النصيب - برقع ٢٥ «
برقع - سبع بيار ١٢٥ «
سبع بيار - سوى ٥٥ «
سوى - تدمر ٤٥ «
تدمر - مرج راهط - اذرع ٢٦٠ «
اذرع - بصرى ٤٦ «
بصرى - تل خالد ٧٠ «

مجموع المسافة ١٦٥٠ كم

١١- بعد وصول خالد بن الوليد لارض اليرموك و بعد التشاور مع القادة الاربع واطلاعه على الموقف العام واستلامه القيادة العامة قام خالد بالعمل التعبوي الآتي والذي يجري لاول مرة في تاريخ العرب حيث قسم الجيوش الاسلامية الى ثماني وثلاثون كردوس يتألف كل كردوس من الف مقاتل بقيادة قائد فذ، وترك بيده الفان من المقاتلين احتياط بقيادة عكرمه بن ابي جهل. واول من اوعز للنساء الواجب الميداني في ميادين الشرف والكرامة ميادين الجهد والجد والاستشهاد في سبيل الله.

ولخص واجباتهن بثلاث واجبات:

أ. التزويد والتشجيع لاثارة حماس الجند.

ب. التضميد ودفن الشهداء.

جـ. مراقبة من يتراجع عن المعركة وضربه.

١٢- التوزيع التعبوي :

أ. قوة القلب : بقيادة ابي عبيده (١٨) الف مقاتل.

ب. الميمنة : بقيادة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة (١٠) الاف مقاتل.

جـ. الميسره : بقيادة يزيد بن ابي سفيان (١٠) الاف مقاتل.

د. الاحتياط : بقيادة عكرمه بن ابي جهل الفان من المقاتلين وعهد خالد الى يزيد بمهمة القاصي اي المفتش العام بالاضافة الى واجبه الاول فكان يتنقل بين صفوف الجند يستطلع احوالهم ويحثهم على الجد ومقابلة العدو.

١٣- قبل احتلال بصرى عاصمة حوران من قبل خالد بن الوليد. أمر ابو عبيده القائد شرحبيل بن حسنه بأحتلال بصرى ولكنه لم يفلح.

١٤- خطب عمرو بن العاص خطبة مشهورة بجند المسلمين قبل المعركة كان لها واقع معنوي بنفوسهم وحثهم على الصبر والجهاد والاستشهاد في سبيل الله، واثناء سير المعركة صاح عمرو صيحة داوية بالجند يبشرهم بالخير قائلاً: «والله لقد حصرت الروم وقلما جاء محصور بخير». حيث حصر الروم حقاً.

١٥- اعترافات قادة الروم بقدرات خالد بن الوليد الحربية والقتالية بالميدان وشهرة خالد بحركة الالتفاف والحزم مثله مثل نابليون مما جعل القائد الالماني الكبير فون دركوتز يقول: (ان خالد بن الوليد كان استاذي في فن الحرب) وان هذا الاعتراف الصريح الذي اورده الينا القائد الالماني بريمان فون ساندرس اثر حادثة حربية بالحرب العالمية الاولى في مرتفعات السلط حيث جغرافية منطقة السلط تشبه لحد معين جغرافية ارض اليرموك و يقول هذا الرجل ان خالد قائد عظيم لايبارى. يقاتل عن عقيدة وجرئة له عقل ناضج فو الله ينتصرن علينا ولو كنا كالجراد الزاحف.

٠١٦ اسباب انتصارات المسلمين على الروم.

كان الروم على تفوق على المسلمين من حيث العدد والعدة ولكنهم كانوا خليطاً مختلفاً متباين الاجناس والشعوب منهم الرومي والارمني والعرب وغيرهم ولم تكن بينهم رابطة قوية تجمعهم وتعزز معنوياتهم ولم تكن لديهم عقيدة ثابته يجاهدون من اجلها بل كانوا يساقون للقتال عنوة وقسراً.

بينما العرب المسلمين يملكون العقيدة الواحدة والغاية الواحدة وهم من جلدة واحدة وغايتهم اما النصر او الاستشهاد في سبيل الله.

٠١٧ وفاة الخليفة ابوبكر وتسلم عمر الخلافة.

قبل حسم المعركة توفي ابو بكر رضي الله عنه ١٢هـ سنة ٦٣٥م وارسل كتاب في عزل خالد ابن الوليد من قبل الخليفة عمر وتجلت حكمة ابو عبيدة في اخفاء الامر حتى حسمت المعركة لصالح المسلمين و بعد ما تسلم خالد امر العزل تقبله في صدر رحب وقال كلمته المشهورة «الحمدلله الذي قضى على ابوبكر وكان احب الي من عمر وولي عمر وكان ابغض الي منُ ابو بكر واني لا اقاتل من اجل عمر بل اقاتل من اجل رب عمر» واستمر تحت قيادة ابو عبيده وهذا الموقف المشرف جعل المسلمين متماسكين امام الاعداء.

٠١٨ اعترافات الخلفاء بخالد بن الوليد.

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كلمته المشهورة.

((لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد)) كما قال عمر بن الخطاب كلمته المشهورة ايضاً بحق خالد «رحم الله ابو بكر انه اعلم مني بالرجال» هذا مما يدل على ندم عمر بعزل خالد من قيادة الجيش ولما بلغ عمر موت خالد قال «قد ثلم في الاسلام ثلمة لا ترتق» كما قال عمر «دع الباكيات تبكي على ابي سليمان».

٠١٩ اسس الحرب القديمة والحديثة.

ان اسس الحرب محدودة لا تتجاوز اصابع اليد أنها سهلة القراءة والفهم والحفظ صعبة التطبيق في الحرب، تستوجب الدراسة مدى الحياه، اعتمادها ضمانة واغفالها خسارة، وتركز على العوامل التالية:ـــ

أ. اساس الحشد.

ب. اساس الامان.

جـ. اساس الهدف.

٠٢٠ تحليل المؤرخين عن اسباب انتصارات المسلمين على الروم والفرس..

أ. منهم من يقول الانحلال والتخاذل عند الروم والفرس.

ب. منهم من يقول العقيدة الاسلامية القوية الراسخة عند المسلمين.

جـ. منهم من يقول أنها المصادفة والحظ عند العرب.

د. والواقع هنا خبرة العرب في فن الحرب والقتال ومعرفتهم بقواعدها وقدرة القيادة الاسلامية واسبابها العقيدة المتينة.

٠٢١ قد تبدع الدراسة العلماء ولكن الطبيعة وحدها تبدع كبار القادة، ان دول العالم الكبرى بوقتنا الحاضر استطاعت ان تجد في منطوقها الاسس الحربية الآتية:ـ

أ. الهدف. ب. الهجوم. جـ. التكتل.

د. اقتصاد القوى. هـ. الحركة والمباغتة. ز. الامان.

و. التعاون.

ان هذه الاسس ثابتة القواعد غير قابلة للتطور والتبديل وهي تمثل القواعد الحربية الراهنة التي اعتمدتها القيادة العسكرية العليا في مختلف الدول الكبرى.

٠٢٢ المذهب العسكري وهنا المقصود بالشرعة العسكرية حيث معنى مذهب الرأي والاجتهاد الخاص ومرجعي الي اختيار هذا التعبير هو كتاب الله الكريم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) سورة المائدة «آية ٤٨» لكل امة من الامم العسكرية الكبرى في العالم شرعة عسكرية خاصة بها ويجب ان تكون شرعتنا نحن العرب من واقعنا الوطني لا مستوردة ولا مستعارة.

فتارة تكون شرعة غربية وتارة تكون شرقية ونحن معشر العرب لانملك شرعة عسكرية عربية بالمعنى المقصود بل ان شرعتنا الراهنة هي خليط مستعار من عديد من الشرع التي ارتبطنا بحكم اوضاعنا السابقة.

٠٢٣ الخطط الكبرى للشرعة العسكرية العربية.

الشرعة العسكرية العربية الحديثة يجب ان تكون شرعة مزدوجة تتجاوب مع واقعنا السياسي والحربي والاقتصادي وتكون شرعة صغرى تخص كل دولة عربية على حدة وشرعة كبرى تكتنف كيان الوحدة العربية الكبرى تكون شرعة عربية مستوحاه ومنبثقة من روح شرعة الاجداد والاباء السابقين التي غزو بها دولتي الفرس والروم واحسنوا اختيار الشرعة المناسبة وانتصروا بها على اعدائهم.

٠٢٤ الوضع الجغرافي للبلاد العربية.

هو محط انظار العالم بأسره للاعتبارات التالية:

أ. الموقع الديني : مهبط الانبياء والكتب السماوية والرسل عليهم السلام.

ب. الموقع السوقي : البلاد العربية مفتاح بين المعسكرين وملتقى للطرق البرية والبحرية والجوية.

جـ. الموقع الحضاري والتاريخي : حيث استوطن الوطن العربي منذ القدم.

د. الموقع الاقتصادي : يتمتع الوطن العربي بالتنويع في المواد الاقتصادية بمختلف تصنيفاته وكذلك يمتاز بوفرة المواد الاولية اللازمة للتصنيع.

٢٥. الوضع الاقتصادي للبلاد العربية.

الكل يعلم بأن معظم المناطق العربية بحكم موقعها الطبيعي والجغرافي والمناخي تعد من الاراضي الخصبة بمواردها الوفيرة وما تمكله الارض العربية من ثروات معدنية هائلة واصبحت بعض المعادن ذات بعد سوقي مهم في حياة الشعوب وتدخل في صناعة الحرب واقتصادنا ان استغل بشكل جيد واحسن توجيهه نستغني عن الاعتماد على الخارج.

٢٦. الوضع الاجتماعي للبلاد العربية.

الشعوب العربية ذات ماض مجيد، والعرب في العصور السالفة اصحاب بأس وشكيمة وغيره وحمية وروح حرية ويحبون السلام وهم محبون لبلادهم واوطانهم وهم سخاة ومضيافون يكرهون السيطرة الغربية والحكم والتدخل فالموت عندهم كالحياة في استعادة حقهم المسلوب ومجد ابائهم واجدادهم.

٢٧. واخيراً نورد تعليقاً على اسرائيل وخطرها باشارة الى ان كارثتنا في فلسطين وضياعها وكان السبب الاساسي ليس الصهيونية العالمية ولا الاستعمار كما يقال ولكن التفكك الذي احاط بنا بشتى انواعه و بالتالي عدم قيام اتحاد متين بين اقطار العرب يجمع بين اغراض شعوبها وحاجاتها واهدافها المشتركة. ان وجود اسرائيل في وسط كياننا العربي وعند ملتقى طرقنا واتصالنا وهمزة الوصل بين العرب في القارتين خطر بالغ ذو مرمى بعيد لا حد لخطورته. ان زوال الصهيونية كدولة مغروسة في البلاد العربية هو زوال كل خطر وازالة كيانها السياسي تصفية نهائية لخلافاتنا ومشاكلنا التي يمكن ان تهدم كياننا ومستقبلنا تهديداً خطيراً.

٢٨. الثقة بالميدان الحربي والاداري.

ان الثقة المطلقة بين الرئيس والمرؤوس لها كبير الاثر في انجاح المعركة وان عنصر الادارة والتدريب المستمر هما عنصران هامان في رفع معنويات الجند. ان القواعد الاصلية التي يتوجب على كل آمر اتباعها هي ضمان للعمل الناجح وسبيل للوصول وطريق للغلبة، فمن اتبعها ورعاها غلب وانتصر ومن اعرض عنها خسر واندحر.

٢٩. <u>الخلاصة :</u>

من هنا يتوجب علينا ان ننادي بالوحدة العربية فعلاً لا قولاً من جميع النواحي حتى نقف بين الامم كما وقفت من قبل ومتى توحدنا كانت لنا الهيبة بين الامم واحترام بين شعوب الارض واخيراً يحتم على العرب اخذ عناصر التفوق العسكري من الآتي:

أ. الاخذ فعلاً لاقولاً بالعقيدة الراسخة التي لانصر الا بها.

ب. وحدة الهدف للامة العربية الواحدة.

جـ. شرعة عسكرية واحدة شاملة.

د. قيادة عربية عسكرية موحدة.

هـ. اقتصاد موحد منظم هادف عربي.

٣٠. والشورى موضوع رئيسي وهام حيث قال تعالى «وشاورهم في الامر فأذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» سورة آل عمران آية (١٥٩).

---

# قضية عزل خالد بن الوليد



بسم الله الرحمن الرحيم

## قضية عزل خالد بن الوليد

### تمهيد .

ان هذه الامة التي استطاعت ان ترتقي سلم المجد خلال فترة وجيزة لا تتجاوز القرن من الزمن بعد ان كانت تعيش على هامش التاريخ تسلم بالتبعية اما للفرس في الشرق أو الروم في الغرب. وقد من الله على هذه الامة بالاسلام فالتقت مع هذه العقيدة وكأنها كانت على موعد معها وتلهف للقائها. فتفهمت تعاليمها علماً وعملاً. علما نقياً لا تشوبه شائبة وعملاً تطبيقياً دقيقاً سليماً ليس فيه تناقض فاذا درست وتفحصت هذه العقيدة ولاحظت اعمال منتسبيها الاوائل. فلن تجد فيها اي تعارض او تنافر.

هذه الامة التي حققت ما حققت بفضل فهمها لعقيدتها وتمسكها بها كان لها وما يزال اعداء كثيرون وفي جميع المجالات لقد كان لتركيز الاعداء على الاسباب المباشرة وغير المباشرة في عزة وانتصارات هذه الامة بقوة عقيدتها وعزيمة الرجال المؤمنين بها.

ومن هنا نشط كثير من المستشرقين لدراسة هذه العقيدة كعلم وقانون ونظام حياة للمسلمين (القرآن والسنة) واجتهدوا بذلك مأملين انفسهم بالعثور على ثغرات كثيرة لعلهم يستطيعون من خلالها التشهير بهذه العقيدة واثبات بطلانها لانها كانت ومازالت المارد الذي يتحداهم و يقض مضاجعهم ويخشون قوته في قلوب المسلمين فهم يدركون ان هذه العقيدة سلاح رهيب تتضاءل امامه جميع الاسلحة فيا اذا احسن استخدامه ولقد قال في هذا المجال احد اعداء هذه الامة في خطاب له امام احد البرلمانات الاوروبية اننا لن نستطيع القضاء على الامة الاسلامية، الا بتمزيق هذا الكتاب مشيراً الى نسخة من القرآن الكريم، فقام احد الجهلاء المتحمسين وقال انا امزقه فقال له ليس المقصود ان تمزق هذه النسخة او تلك وانما المقصود تمزيقه من قلوب المسلمين.

ولما فشلوا وعجزوا في هذا المجال العقائدي عمدوا الى المجال التطبيقي من تاريخ هذه الامة، ونبشوا فيه الكثير الكثير لعلهم يجدوا فيه من الثغرات مايعوضهم عن فشلهم في المجال الاول ولان المجال التطبيقي يكون فيه عادة مجال الخطأ أكبر. فدرسوا تاريخ هذه الامة بدءاً من قائدها الاول الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين ومازالوا حتى وقتنا الحاضر ومن الامور التي ظنوا انهم وجدوا ضالتهم بها هي قضية عزل القائد خالد بن الوليد في بداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب. ونحن اذ نعرض لهذه القضية والتي حدث ويحدث مايشابهها في تاريخ كثير من الامم القديمة والمعاصرة فنلاحظ انه عندما يتسلم مسؤول جديد زمام القيادة والمسؤولية لاي امة من الامم سواء

كانت شرقية او غربية، شيوعية او رأسمالية فان هذا القائد يعزل او يعين كيفما يشاء وكيفما ارتأ وحسب مايتفق مع اهوائه ورغباته وحسب ماتمليه عليه الظروف والاحوال دون ان يثير هذا العزل أو التعيين ادنى شك في عدالة او نزاهة الرئيس اذاً فلماذا تأخذ قضية عزل خالد؟ هذه الاهمية من التركيزمن قبل المستشرقين والمشككين بعد ما يقارب خمسة عشر قرناً من الزمن وكأنها قضية الساعة؟ قد يكون السبب أهمية الرجلين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ومالهما من امجاد خالدة في التاريخ الاسلامي وان اي ثغرة او انحراف ولو كان بسيطاً في حياتهما يؤثر سلبياً على هذه العقيدة التي يتبعانها وهذا مايصفه وهماً اعداء هذه الامة وخاصة المستشرقين منهم وأرى قبل ان ندخل في تفصيل هذه الحادثة ان نعرض شيئاً من الايجاز.

٠٣ <u>خالد بن الوليد سيف الله المسلول.</u> هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولن ندخل هنا في تفصيل مكانته في قومه بني مخزوم ولا في مكانة بني مخزوم في قريش، ذلك معروف ولايحتاج الى تعريف، ورث خالد شرف البيت الذي ينتمي اليه وشرف الشخصية القيادية منذ بداية رجولته، فكان فارس قريش الاول وقد اسند له قومه في جاهليتهم اهم مناصب الحرب «القبة والاعنة» اما القبة فكانوا يقيمونها ويجمعون فيها مايجهزون من الجيش واما الاعنة فهي اعنة الخيل وهي كناية عن انه المقدم على خيول قريش في الحرب، وهذا يعني انه كان يجمع في الجاهلية زمن الحرب بين منصبي رئيس هيئة العمليات والاعداد لان الخيل كانت لها المنزلة الاولى في حروب ذلك العصر فقائدها هو القائد الاعلى للحرب. اضطلع خالد بعبء القيادة الحربية لقومه في حربهم لجند الاسلام فكان اول موقف برز فيه غزوة احد ومنه كانت نكبة المسلمين في تلك الغزوة لان خالد كان من اولئك الرجال الذين يملكون اعصابهم عند تفاقم الخطوب وزحف الاحداث فلم يطر عقله شعاعاً بالهزيمة النكراء التي اصابت المشركين في اول جولة من الحرب ولكنه ظل قوياً جلداً يقظاً يترقب شخره ينفذ منها الى قلب الجيش الظافر كان خالد على ميمنة قريش وجيشها المنهزم فاسعفته قوة جنانه وثبات جأشه باعجب نظرات القائد المحيط بدخائل الميدان الذي يحارب فيه وعرف كيف تنفذ الحيلة وتنجح المكيدة والحرب خدعة رمى خالد بنظرة في مؤخرة جيش المسلمين ينظر الى الرماة الذي جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حماة لظهورهم واوصاهم الا يغادروا مكانهم حيث لم تفزعه الهزيمة على نكارتها ولم يصبه ما اصاب اقرانه من الاضطراب والبلبلة ولم يقف في مكانه وقفه الجرىء المتهور ولكنه وهو فتى الحرب وابو عذرتها الناشيء بين احضانها كان عبقري الشجاعة والتدبير ولم يخنه عقله العظيم في ساعة تداعت فيها عقول الغطارفة وتزلزلت اقدامهم لم يزح به اليأس في مضال الفرار لينجو بنفسه او اراد عيشة الجبناء الرعاديد وخالد رأى جيش قومه تعركه الهزيمة عركاً وهو احد فرسانها فاحتال في مناورة عسكرية بارعة ورمى بنظره الى مكان الرماة في مؤخرة جيش المسلمين فرأى كتيبتهم قد تركت أماكنها ولم يبق منها على الجبل الا نفر قليل فحمل عليهم بخيله حتى ابادهم وركب

كثاف المسلمين فادهشهم واوقع الاضطراب والخلل في صفوفهم فتبدل الموقف واصيب المسلمون صابة بالغة ولو كان لوقائع الشرك ايام في التاريخ لسمى المشركون يوم احد بيوم خالد بن الوليد ولكن الله اصطفى «خالد» سيفاً من سيوفه لم يرض ان يجعل اسمه عنواناً الا على اشرف صفحات الايمان في تاريخ الخالدين واصبح اسم هذا القائد بعد ذلك على كل لسان وقدمته قريش على مشيختها وخيرة فرسانها في جميع جموعهم التي تلت موقعة احد.

ان هذه الفطنة والنباهة العسكرية بحاجة الى عقيدة راسخة لتكتمل عناصر عبقريتها، فكان ما ذلك حين هداه الله الى الاسلام في السنة السادسة للهجرة ومن هنا بدأ نبوغه العسكري يتدرج للاكتمال بتدرج اكتمال العقيدة في قلبه.

قال فيه الرسول لما قدم عليه مسلماً «الحمد لله الذي هداك قد كنت ارى لك عقلاً رجوت لا يسلمك الا الى خير» اشتكى عبدالرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا خالد لم تؤذي رجلاً من اهل بدر لو انفقت مثل احد ذهباً لم تدرك عمله قال يارسول الله انهم يوقعون بي فارد عليهم فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تؤذوا خالد فانه سيف الله صبه الله على الكفار».

سلم خالد رضي الله عنه وسمع من النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو اعرف الناس باقدار الرجال من التقريظ والثناء عليه مالم يقله لاحد سواه ورأى من احتفائه به مالم يكن لغيره مثله فأعد نفسه لمكانها في الاسلام وهل خالد في حياته الجديدة مكان غير قادة الابطال في معامع الوغى والنزال نعم ولذلك وجهه الاسلام فنعم الخيار ونعم المختار بلى وقد شهد منه الاسلام ما اقر عينه وارسى دعوته فكان في جميع مواقفه القائد المحنك والسياسي الحكيم والبطل الصنديد والجندي الصادق المطيع والشجاع المقتحم والفارس الجريء والمفكر الحازم والعقل المسدد والطود الذي لا تزعزعه الحوادث ولا تسيطر على حلمه الشدائد والمؤمن الذي لايستفزه النصر ولايبطره العجب ولا تمتلكه الخيلاء الجوفاء ولاتخدعه الخداع ولايعجزه الابتلاء وهذه المزايا منتهى مايمكن ان تجتمع لرجل في امة وغاية مايطمح اليها قائد ماهر من قواد الحرب في القديم والحديث ولقد كانت في خالد حقائق هي بعض ماحباه الله من خصائص احكمتها الاحداث وصنعتها الشدائد وهذبتها التجارب ورباها الاسلام وسجلها له التاريخ كانت اول موقعة له في الاسلام هي موقعة مؤته كان خالد رضي الله عنه جندياً في هذا الجيش كغيره من المهاجرين والانصار ورجالات الاسلام والنبي عليه السلام يعلم مكانه ولم يعينه في القواد فلم يعترض كما اعترض غيره ولم تتخاوض ذهاباً بنفسه عن الجندية تحت امرة مولى من الموالي فهنا تتجلى طاعة ذلك البطل الجندي لامر القائد العظيم عليه افضل الصلاة والسلام فلما قتل قادة المسلمين الثلاثة في هذه الغزوة بعد ان ابلوا بلاء حسنا، ترك امر القيادة لرأي الجيش يختار لنفسه قائد من اهل المقدرة والحكمة وفي حق ان هذه ادق واخطر ساعة تمر بجيش مشتبك في المعركة يفقد قواده المعينين و يصبح خالياً من قائد

يسوس امره و ينظم صفوفه وماذا ينظر من جيش انفرط عقد نظامه وبماذا يفكر غير التماس طرق النجاة ولكنه على قلة عدده وفقدانه لقادته الا انه لم يفقد روحه المعنوية وايمانه القوي وتذكروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يرتب القواد فان اصيب عبدالله بن رواحه فليرتض المسلمين منهم رجلاً فليجعلوه عليهم.

مثل هذا القائد الشاب الذي اوكلت اليه قيادة الرجال على زمن الرسول عليه السلام. وتأميره على كثير من السرايا التي بعث بها لنشر الاسلام من ناحية ولاظهار ماوصلت اليه قوة الدين الجديد من ناحية اخرى في ربوع الجزيرة العربية و بعد ان انتقل الرسول الى الرفيق الاعلى امره ايضاً خليفة المؤمنين الصديق لمواجهة حروب الردة وما بعدها واثناء تنفيذه لهذه الواجبات العظام سواء على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام او زمن خليفته نقول حدثت كثير من الحوادث مع القائد خالد بن الوليد لانستطيع الجزم باثباتها او نفيها الا بعد مناقشة اهمها بكل موضوعية هذا ان اردنا وجه الله في وضع الحق في نصابه واساسيات اي حادثة هي وقوعها «اي هل وقعت حقيقية ام هي من نسيج الخيال». كيفية وقوعها (فكثير من الحوادث تحدث في زمن وتنسبها الروايات لزمن اخر) واسباب وقوعها و يتدرج تحت الاسباب ما يظنه اي من طرفي او اطراف الحادثة في الطرف الاخر فقد يكون لكل الاطراف اسبابه ومعاذير وعند التحقيق في الحادثه تجد ان كلا منها محق وهذا يحدث وسنقوم هنا بعرض اهم هذه الحوادث والقصص بشيء من الايجاز.

## حروب الردة وفتوحات خالد في العراق

ان حروب خالد مع اهل الردة في الجزيرة العربية طويلة ومريرة وسجلت له فيها انتصارات رائعة حسمت اكبر مشكلة واجهت المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ويحق لخالد أن يسمى بحق بطل حروب الردة حتى ذلك الحين فلم يسجل التاريخ عليه في هذه الحروب موقعة واحده بل كانت جميعها لصالحه ونذكر من هذه المعارك والوقائع معركته مع طليحه الاسدي وارغامه على الرجوع الى الاسلام، حربه مع مالك بن نويره واقعة اليمامة بين خالد ومسيلمة كانت واقعة اليمامة اعظم وقائع الاسلام بالمرتدين من العرب، وكانت نهاية تلك الحروب الداخلية في الجزيرة العربية و بالفراغ منها، تم للاسلام انشاء قاعدة في بناء دولته الكبرى، وقد اعتمدت هذه القاعدة على وحدة الغاية ووحدة اللغه، ووحدة الدين، ووحدة الوطن والمقر. و بعد هذه النهاية المشرفة لخالد بن الوليد وجيوش المسلمين كتب اليه يأمره بغزو بلاد فارس بما فيها العراق ثم كتب ابو بكر الى المثنى بن حارثه ومن معه يأمره فيه بطاعة خالد لانه كان قد أرسل قبله لمناوشة اطراق فارس، فانحدر المثنى الى خالد جواداً كريماً ومطواعا ورغم قلة عدد المسلمين «ثمانية عشر الفا» مقارنة مع جيش فارس ومن معهم من العرب الا انها كانت مواقع خالدية كثيرة ومتعدده كان

لخالد فيها جميعها النصر من الله سبحانه وتعالى وكان بحق «سيف الله» وانى لسيف كائناً من كان ان ينال من سيف الله ومن هذه المواقع: واقعة المزار واقعة الولجه، واقعة اليس، واقعة امغيشيا، فتح الحيره، والتي اصبحت فيما بعد قاعدة الجيوش الاسلامية فمن الحيرة انطلقت جيوش الاسلام المظفرة الى عمق فارس، واقعة الانبار، واقعة عين التمر، فتح دومة الجندل ومما قاله احد خصوم خالد في هذه الموقعة محاولاً اقناع قومه بعدم محاربة خالد «انا اعلم الناس بخالد، لا احد أيمن طائراً منه، ولا احد في حرب اقدر منه، ولا يري وجه خالد قوم ابداً قلوا او كثروا الا انهزموا عنه، فاطيعوني وصالحوا القوم» وقائع خنافس والحصيد، واقعة المصيخ واقعة الفراض و واقعة الفراض هذه كان فيها خصوم المسلمين حشود من فارس والروم و بعض القبائل العربية وكانت هذه الواقعة آخر واقعات خالد بن الوليد مع اهل الفرس بالعراق وقد كثر فيها قتلى الروم والفرس واتباعهم من العرب حتى قدرها بعض المؤرخين بمائة الف قتيل. و بعد هذه الوقعة عاد خالد بجيوشه الظافرة الى الحيرة.

## مسيرة خالد الى بلاد الشام

كتب ابو بكر الى خالد بعد عودته من حجته التي غامر فيها تلك المغامرة الخطيرة حيث ترك جيوشه في العراق وسار الى مكة دون اذن من الخليفة فكتب اليه يعاتبه ويهنئه، و يذكره و يعظه ثم يستفزه الى عون اخوته امراء الشام ليتم نعمة الله عليه فتح الشام كما فتح العراق و يكسر شوكة الروم كما كسر قناة الفرس قال له «سر حتى تلقي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا واشجوا، واياك ان تعود لمثل ما فعلت، فانه لم يشج الجموع بعون الله احد من الناس شجيك ولم ينزع الشجي احد من الناس نزعك، فليهنك ابا سليمان النية والحظوة فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتنسخر وتذل واياك ان تدل بعمل فان الله له المن، وهو ولي الجزاء ثم قال له» «دع العراق واخلف اهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ثم امض مخففاً في اهل قوة من اصحابنا الذين قد قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى ابا عبيده بن الجراح ومن معه من المسلمين واذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام عليكم ورحمة الله».

قرأ خالد كتاب الخليفة بالمسير الى الشام، فعز عليه ترك العراق، ولكنه وهو الرجل العسكري لا يعرف لغير الطاعة في نفسه سبيلا، فنهض للسمع والطاعة وخلف على العراق بأمر الخليفة المثنى ابن حارثه وفصل بمن معه من ابطال الاسلام وجنده من الحيرة الى دومة ثم طعن في البرية وطلب حذاق الادلاء وقال لهم كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم؟ فاني ان استقبلتهم حبستني عن رغبات المسلمين فكلهم قالوا: لا نعرف الا طريقاً لا يحمل الجيوش يأخذه الفذ الراكب، فاياك ان تغرر بالمسلمين، فابى خالد الا ان ينفذ رأيه فدل على رافع بن عمير الطائي، فقال له:

«انك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال، والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها الا مغرور، انها لخمس ليال جياد، لا يصاب فيها ماء مع مضلتها، فقال له خالد: ويحك انه والله لابد لي من ذلك انه قد اتتني عزمة فر بأمرك. ثم قام خالد في الناس ليشحذ عزائمهم و يقوي ايمانهم، فقال لا يختلفن هديكم ولا يضعفن يقينكم واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية والاجر على قدر الحسبة وان المسلم لا ينبغي له ان يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله. ولقد وصل خالد وجيشه الى دومة الجندل موقع فيه ماء بعد خمس ليال و بعد اجراءات ادار ية فذة لا تصدر الا عن قائد محنك واجراءات تعبو ية حيث اتى الروم من مأمنهم، بعد ذلك أرسل القائد خالد كتابين وجه الاول الى عامة المسلمين في الشام يبشرهم فيه بالمدد يقول فيه أما بعد فان كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني بالمسير اليكم، وقد شعرت وانكمشت واسرعت وكان قد اظلت عليكم خيلي ورجالي، فابشروا بانجاز وعد الله وحسن ثواب الله عصمنا الله واياكم باليقين واثابنا احسن ثواب الجاهدين وارسل ثانيهما الى ابي عبيده خاصة يقول فيه «اما بعد فاني اسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا من كل سوء وقد اتاني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني بالمسير الى الشام و بالقيام على جندها والتولي لامرها والله ما طلبت ذلك قط، ولا اردته اذ وليته فانت على حالك التي كانت عليها، لانعصيك ولا نخالفك، ولا نقطع امراً دونك فانت سيد المسلمين، لا ننكر فضلك ولا نستغني عن رأيك، تمم الله ما بنا و بك من احسان ورحمنا واياك من صلي النار، والسلام عليكم ورحمة الله».

ولما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال «بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى وحيا الله خالد».

ولا بد لنا من الالتفات قليلاً الى هذه الآداب الرفيعة في حديث القائدين فخالد رأى انه ولي القيادة العامه، واصبح امير امراء الشام، وفيهم ابو عبيده وهو من سادة السابقين الاولين وله بين الناس مقام ملحوظ فلا يسوغ في شرعه المكارم وادب البطولة الاسلامية ان يفاجأوا خالد بالامر، فليكتب اليه يطلعه على الحقيقه، و يعرفه انه لا يزال في مكانه من التبجيل والاحترام، وانه سيد المسلمين في هذا الوجه وانه لا يقطع امراً دونه، وهذا الادب الرفيع هو الذي عامل به ابو عبيده خالداً حينما تم الفلك دورته الخالدية، وعاد القائد البطل جندياً يعمل في ظل امارة ابي عبيده بأمر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقد روي ابن كثير في تاريخه ان خالدا قال لابي عبيده حين ابلغه امر عمر بعزله، وكان ابو عبيده قد اخر اخبار خالد بأمر عزله حتى يفرغ من الاشتباك في احدى المواقع، ولم يخبره به فور مجيئه، يرحمك الله ما منعك ان تعلمني حين جاءك؟ فاجابه الامين ابو عبيده اني كرهت ان اكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا عملي، وما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان، وما يضير الرجل ان يليه اخوه في دينه ودنياه.

وكان ابو بكر قد كتب الى ابي عبيده يعلمه بتولية خالد الامارة العامة فقال له: اما بعد: فانني وليت خالداً قتال العدو بالشام فلاتخالفه واسمع له واطع امره فاني لم ابعثه عليك ان

لا تكون عندي خيراً منه ولكني ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك، اراد الله بنا و بك خيراً.
ولقد كان خالد عند ظن الخليفة فانتصر في جميع معاركه في بلاد الشام واهم تلك المعارك معركة البرموك والتي لسنا بصدد الحديث عنها هنا.

## عزل خالد واسبابه.

عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد مرتين المرة الاولى عزله من القيادة وامارة الامراء بالشام وكانت هذه المرة في السنة الثالثة عشر من الهجرة غداة تولى عمر الخلافة وكان الكتاب بهذا العزل اول كتاب كتبه مستهلاً به عمله في سياسة الدولة وولى مكان خالداً امين الامة ابا عبيدة بن الجراح.

وامر امير المؤمنين قائده ابا عبيده ان يسرح جند العراق و يبقى لديه ما يحتاجه منهم: ومن بينهم خالد وقال له: وليكن فيمن تبقى خالد فانه لاغنى لك عنه. وابا عبيده من اعرف الناس بخالد وكان يكبر فيه عبقريته وادراكه وشجاعته. وقد اخفى كتاب عزله آجلا حتى تهيأت له الظروف لذلك وكان خالد يعظم ابا عبيدة و يعرف له الفضل وسابقته وقد قال فيه خالد عندما وصله كتاب العزل «بعث عليكم امين هذه الامة وهذا سمعته من رسول الله» فقال ابوعبيده سمعت رسول الله يقول (خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة) ولقد دام الود القائم على التقدير والاحترام والثقة بين القائدين لم يؤثر احدهما نفسه على الاخر ولم يظهر بينهم التنافس المذموم بل زاد بينهم الايثار الصادق ومن الشواهد على ذلك. تأخير الاعلام بما جاء في كتاب العزل مدة عشرين يوماً تقريباً فلما قراءه خالد قال له يغفر الله لك اتاك كتاب امير المؤمنين فلم تعلمني وانت تصلي خلفي والسلطان سلطانك ورد عليه ابو عبيده رداً لطيفاً ظهر فيه انه لايريد سلطان هذه الدنيا الفانية وانهما اخوان يقومان بامر الله ولايضرها ايهما كان الامير وقد بقي خالد قائداً لاحدى الفرق يعمل تحت امرة ابي عبيده حتى فتح الله على يديه (قنسرين).

وتسلم ابو عبيده القيادة وكتب الى امير المؤمنين يعلمه الفتح وجهاد خالد فيه فقال عمر قوله المشهورة امر خالد نفسه ورحم ابا بكر هو كان اعلم بالرجال مني. وقد يفسر المغرضين والمستشرقين مقالة عمر بان خالد دفع نفسه لهذه المغامرة لاثبات واظهار مقدرته العسكرية دون وضع خطة موافق عليها من قبل القائد ابا عبيده وحقيقة ما قصده عمر ان خالد فيما اظهره من فنون حرب وشجاعة قد وضع نفسه موضعها من الاقدام، والشجاعة وحسن التدبير والقيادة مما يؤهله ليكون القائد الفذ الذي لايباري ومن هنا يعترف عمر بان ابا بكر اكتشف مبكراً ميزة القيادة لدى خالد واكتشف عمر سر تمسك ابو بكر بخالد كقائد عام لقوات المسلمين في الشام. ان خالد وعياض بن غنم توغلا بالجيش في بلاد الروم ورجعا بغنائم عظيمة وان خالد قد منح الاشعث بن قيس عشرة الاف درهم فكتب امير المؤمنين الى ابي عبيده يأمره بالتحقيق مع

خالد في مصدر المال وعزله العمل واستقدمه الى المدينة. تروى ابو عبيده في كتاب امير المؤمنين وتدبره وعظم عليه ان يحزن خالد مثلما عظم عليه عدم تنفيذ واجب السمع والطاعة لامير المؤمنين ولقد اثر حق الطاعة على حق المودة لخالد وخاصة وانه عرض للناس بان نفسية خالد لن تضعف ولن تفتر عزيمته مهما حدث ومن نبل اخلاق ابي عبيده انه ترك امر التحقيق خالد لبلال على رأي من الناس وانتهى الامر ببراءة خالد ان يكون مديده الى غنائم المسلمين بان يمنح منها هذا المبلغ ودع خالد الجيش وقدم الى المدينة ومثل امام امير المؤمنين وعاتبه اجمل عتاب فاعتبه عمر اكرم عتاب وقال له: «والله ياخالد» انك علي لكريم وانك الي لحبيب ولن تعاني بعد اليوم على شيء، هذه هي الرواية التي لايماري فيها باحث استشراق واستغرب فهي بعيدة عن الزخرفة وتلون الاساليب ودسها. وبناء عليها يجب البحث عن اسباب العزل ليعلم الناس حقيقة الدوافع التي حدث بالفارق وان يحدث ما احدث في هذا الامر فلقد فهم روح الشريعة السمحاء وهو اجدر الناس بتطبيقها تطبيق الحاذق الذي لا تفوته شاردة ولا وارده فهو النموذج الاعلى بعد النبوة وخليفها الاول واذا اردنا ان نحقق ونتحرى قضية العزل بشكل سليم فانها تندرج تحت النقاط التالية:ـ

**اولاً :** عزل امير المؤمنين عمر بن الخطاب قائد جيوش الاسلام في الشام خالد بن الوليد عن القيادة العامة وانزله الى مرتبة قائد فعمل تحت امرة القائد الجديد ابي عبيده بن الجراح زهاء اربع سنوات.

**ثانياً :** عزل امير المؤمنين عمر بن الخطاب احد قادة الفرق خالد بن الوليد عن عمله في الجيش كله وحاكمه لتصرفه في شؤون الدولة المالية. ولبحث هذه القضية سنتناول تفنيد الاسباب المزعومة من بعض الرواة والمستشرقين فليس من المعقول بداهة ان يكون سبب العزل الاول ما زعمه بعض الرواة وتهالك على اثباته بعض الباحثين من قصة مالك بن نويره وزواج خالد امرأته. لامرين الاول: اننا ابطلنا الروايات التي تعزو الى عمر مقالات في هذه القصة لا تتفق مطلقاً مع واقع التاريخ ولا تتفق كذلك مع اخلاق الرجلين العظيمين عمر بن الخطاب (الفاروق) وخالد بن الوليد (سيف الله).

**ثالثاً :** لو كانت للصورة المزعومة السبب او بعض السبب الذي عزل عمر من اجله خالد لما كان هناك اي داع في ابقاء خالد امير فرقة جيش بل كان الواجب يقضي بعزل خالد عزلاً نهائياً عن الجيش كله ثم افادته بمالك بن نويره او رجمه لنزوة على امرأته واذا كانت اقامة الحد على وجهيه قد فاتت بحكم ابي بكر وتأوله وعذره لخالد فالذي لايفهم ولايعقل هو عزل عمر بن الخطاب صاحب تلك المقالات المزعومة خالداً صاحب تلك الافاعيل المزعومة ايضاً، عزلا جزئياً بتنزيله من منصب القيادة العامة فقط وابقاوءه قائداً لاحدى الفرق وعمر كما هو مزعوم عنه على حد ما وصل اليه الباحثين الذين لم تمنعهم اخلاقهم من استنتاج ما وصلوا اليه فبحثهم الناقص

اوصلهم الى ان عمر يتهم خالد في دينه واخلاقه مرؤته ورجولته بتلك التهم الخطيرة وهي قتله رجلاً مسلماً معصوم الدم لينزو على امرأته فلا يصلح مثل من يفعل لحمل شرف القيادة او حتى الجندية في جيش الاسلام لانه لايؤمن على دم او عرض او مال.

وهذه الروايات السقيمة المهلهلة التي جربها السفهاء من الباحثين تنسب الى عمر بن الخطاب اقوالاً توعد بها خالد اذ صار اليه امر الخلافة يزعمون ان عمراً قال لخالد قتلت امرأ مسلماً ونزوت على امرأته والله لارجمنك باحجارك فهو يصبح خليفة المسلمين، بيده سلطان الاسلام يقضي به مايشاء على من يشاء وخالد اول من امتثل لامر الخليفة بالمدينة وهو في الشام فأين ذهبت تلك التواعدات المرعدة والاقاويل المهددة.

ايجوز في عرف هؤلاء الباحثين ان يوصف جبار الجاهلية فاروق الاسلام بالجبن عن اقصاء خالد وعزله كلياً ما دام يتهمه بتلك التهمة الخطيرة وهذا العزل الكلي ادنى ما يستوه الحق والعدل لو صحت تلك التهمة على خالد او لو صح اعتقاد عمر بصحتها اما انهم يعللون ذلك بشيء اخر فيزعمون ان سياسة عمر في فهم الشريعة وتطبيقها تختلف بعد توليه الخلافة عما كانت عليه قبلها ام انه نسي او تناسى بعد ان صارت الامور اليه ماكان ينادي به قبل ذلك وهذا يحدث لكثير من القادة والحكام في الشرق والغرب في هذا العصر ام عواطف عمر واحاسيسه تسيطر عليه فينقاد عقله لها عند تصرفه في شؤون المسلمين ام ان الامر لا هذا ولا ذلك، ولكنها روايات صنعها اعداء الاسلام وتلقاها ضعفاء الرواة وقبلها من تلقوا تاريخ الاسلام بعيداً عن روح الاسلام ومصادر الاسلام.

واذا كان من نتيجة ضعف الفهم والادراك ان يكون لمقتل مالك بن نويره وما يتبعه من روايات اية علاقة او ادنى سبب لعزل خالد عن القيادة العامة فان من الزيف وعبث البحث والتقصي رد اسباب العزل الى حقد قديم وضغائن الجاهلية وما نعنيه هنا تلك الاقصوصة التي مفادها ان عمر وخالد تصارعا وهما طفلان يلعبان فصرع خالد عمر، والاقصوصة الرديفة لهذه ان عمر يحقد على خالد منذ الجاهلية لاسباب قبلية وجاهلية ونحن لانريد ان ننفي او ان نقر هذه الحوادث على زمن الجاهلية فهنالك احداث كثيرة قد حدثت وثارات كثيرة لم تنتهي ولكن الاسلام في عرف عامة المسلمين يجب ما قبله فكيف في عرف عمر ايحفظ احقاد ولا ينساها (الفاروق) وهو المؤمن القوي والذي ثبت عنه انه قال والله لو تعثرت شاة في الفرات لخشيت ان يسألني الله عنها لما لم تمهد لها الطريق ياعمر. فمن يخشى من ان يسأل عن تعثر الشاة في الفلاة احق ان يخشى من ان يسأل لماذا حقدت على سيف الله ياعمر لحادثة بسيطة في الجاهلية، ولماذا نسى الاوس والخزرج احقادهم وثاراتهم الجاهلية ودفنوها الى غير رجعة الا يستطيع عمر ذلك ولماذا لا يقول لنا اصحاب نظرية الحقد الجاهلي بين الفاروق وسيف الله لماذا ابقي عمر القائد

خالد قائداً لاحدى الفرق العسكرية وقد اتته الفرصة احسن ما تكون لينتقم من خصمه القديم و يشفي منه الغليل. وردا على ذلك بقول الكاتب الكبير (العقاد) صاحب العبقريات، ابعد شيء عن الحقيقة ان كون عزل خالد لضغينه في نفس عمر او لتلك المنافسة التي تستحكم بين الاشباه والنظر او لغير سبب من تلك الاسباب التي كان عمر يحاسب بها جميع القادة والولاة واسخف من هذه الظنون ان يسبق الى الوهم كما سبق وهم يعلن المؤرخين ان عمر عزل خالد لبغضاء قديمة مرجعها الى الصراع بينهما في ايام الصبا وان خالد كسر ساقه فلم ينزل بقية حياته واجداً عليه واجهل الناس باخلاق عمر من يجمع الوهم الى ظن من هذه الظنون فليس في رجال التاريخ من هو اكثر تحظئة من عمر بن الخطاب لنفسه لانه ليس بينهم جمعياً من هو اشد حساباً لنفسه ومراجعته لنيته منه، واغلب الظن عندنا انه لو احس في نفسه نية حقد او ثأر قديم لكان أثر هذا الاحساس ان يؤجل عزل خالد ولا يعجل به مخافة من خدعة نفسه وتضليل هواه فعلى هذا الوجه نتلمس في محاسبات عمر ومعاملاته اذا وقع منها ما يحتاج الى تأويل لانه كان يحاسب نفسه قبل ان يحاسب غيره وحساب نفسه اعسر من حسابه للاخرين في جميع محاسبته للقادة والولاه ولان الذي صنعه عمر وهو الذي ينتظر ان يصنعه سواء كان القائد خالد او كان القائد غيره وهذا الذي ينفي الشذوذ والحيف او ينفي المعاملة الخاصة التي تكيل للناس بكيلين وتزن بميزانين وتنظر اليهم بنظرتين مختلفتين.

عزل عمر خالداً وهو سيف الله و بطل الجزيرة العربية والشام اذا كان لابد لخالد من عازل او قاضي عادل فلن يكون عازله وقاضيه غير عمر بن الخطاب ظن الناس انها منافسة الند بالند والشيبة للشيبة وقال غيرهم عزله لغير خطأ اتاه وقال لاحقاد قديمة ولولاها ماكان الخطأ الجديد يستوجب عزله وحرمان المسلمين من بأسه وجهاده والذين ظنوا الظنون لهم شبهاً تمت ظواهر الامور تخيلها لهم وتقربها الى حد سهم لان المشابهةبين عمر وخالد كانت مشابهة خلق وخلق الظن بالتنافس وكانت مشابهة خالد لعمر في خلقته تلتبس على بعض الناس فيكلمون عمر وهم يحسبونه خالد فمن اراد ان يخبط بالظن فله ان يحسب ان عمر قد عزله لغير سبب يستوجب عزله لان عمر نفسه قد صان على القائد الكبير كرامته وامسك عن الخوض في امر عزله بعد الفراغ من ضحيته الاولى وكتب الى الامصار يبرئه من الخيانة و يعلمهم انه لم يعزله لسخطه ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به قال: فخشيت ان يوكلوا بهِ و يبتلوا فأحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض فتنة ولما سأله خالد في ذلك قال له ان الناس فتنوا بك فخفت ان تفتن بالناس فمن شاء ان يخبط بالظن فليخبط ماشاء له شبهه ولكنه لايرجع الى الوقائع من قديمها وحديثها حتى تسقط شبهاته بين يديه و يوقن ان عمر لم يحاسب خالد بميزان غير الذي حاسب به جميع القادة والولاة وان المذهب الحق ان يبقيه في الولاية والقيادة بعدما اخذه عليه لانه حينئذ يكون قد

وزن بميزانين وكال بكيلين وكلام العقاد هذا هو الكلام الصائب فهو يقوم على تحقيق في البحث ودراسة الشخصيات عن طريق تعرف خصائصها ميزاناً صادقاً يفقد من خلاله الروايات المتضاربة ومن ثم يكون الباحث بمنجاة من الحيرة في التصويب والنفي. و يكون ايضاً اقرب الى العصمة عن الانزلاق الى تلقف الاقاصيص التي توافق هوى خفيا النفس وان كانت تخالف وقائع التاريخ.

ولقد انتهى بنا البحث الى استبعاد واستهجان ان تكون قصة مالك بن نويرة واشباهها من لاقاصيص وكذلك الحقد الجاهلي المزعوم لها علاقة من قريب او بعيد بعزل خالد فلنبحث الان عن الاسباب الصحيحة التي حدت بعمر ان يعزل خالد سواء كان العزل الاول او العزل الثاني.

انه لمن اليسير علينا ان نقول ان من حقه ان يلزم نفسه بالعمل مع من كان قد استخدمهم سلفه من الولاة والقادة فانه يلتزم بذلك فيبقى من شاء و يعزل من شاء وهو موضع ثقة الامة وما يراه هو الصواب والحق وكذلك فانه يلتزم بنظم سلفه واسلوبه في الحكم او قد يغير في الاسلوب و بعض الانظمة مادام قائماً في حكمه على حدود النصوص والدستور لان لكل حاكم عقلية وتفكير وفهماً وادراكاً للامور واسلوباً في التعامل مع الاشخاص وفهمهم يختلف بنسب متفاوتة بين كل حاكم وآخر وهذا الاختلاف في اسلوب الحاكم هو احد اسباب مايطرأ على الامم من مستجدات وتغيرات سياسية واجتماعية وحضارية فقد يقود الحاكم امته صعوداً لسلم الرقي او لمنحدرات الهاوية وتولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد ابو بكر وهما من طبيعتين مختلفتين في خصائص الحكم تمثل طبيعة كل منها لوناً من طراز الحكم واسلوبه ولكنه لوناً لايبعد صاحبه عن طبيعة الاسلام وروحه كما فهمه ورآه وسمعه تطبيقاً عملياً من رسول الله عليه السلام. وكانت مظاهر اختلافهما تبدو في حياة الرسول فيحسم الامر بما يريه الله تعالى ومن شواهده موقف الشيخين في قصة اسرى بدر وموقفهما في صلح الحديبية وكذلك موقفهما من اسرى بدر وملخص هذه القصة مايلي لما كان يوم بدر جيىء بالاسرى ومنهم العباس فقال رسول الله عليه السلام: ماترون في هؤلاء الاسرى فقال ابو بكر يارسول الله قومك واهلك استبقيهم لعل الله ان يتوب عليهم وقال عمر كذبوك واخرجوك وقاتلوك قدمهم اضرب اعناقهم وقال عبدالله بن رواحة انظر وادياً كثيراً الحطب فاضرمه عليهم فقال العباس وهو يسمع قطعت رحمك، فدخل رسول الله ولم يرد عليهم شيئاً فقال اناس يأخذ بقول ابو بكر وقال اناس بقول عمر واناس يأخذ بقول عبدالله بن رواحة فخرج رسول الله فقال ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن و يشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة مثلك ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك انت ياعمر مثل نوح عليه السلام اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ومثلك يا عمر مثل موسى عليه السلام اذ قال (ربنا اطمس على اموالهم

واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) (انتم فلا ينفلتن احد الا بفداء او ضربة عنق). ولما تولى ابو بكر الخلافة اصبح في يده حكم الامة وسياستها وآزره عمر اصدق المؤازرة ولكنه كان يختلف معه في بعض الامور فيرجع اليه تارة و ينفذ آراءه تارة. اختلفا في قتال المرتدين فكان ابو بكر يوجبه و يتشدد فيه وكان عمر لايراه فردة ابو بكر الى رأيه في حزم وقوة وكان من اظهر مواضع اختلافهما مدى السلطة التي تعطى للعمال والولاة والقادة في الانحاء التي يكونوا عليها حاكمين باسم الخليفة فابو بكر كان من سنته مع عماله وامراء عمله ان يترك لهم حرية التصرف كاملة في حدود النظام العام للدولة مشروطاً ذلك بتحقيق العدل كاملاً بين الافراد والجماعات واما عمر فكان يرى انه يجب على الخليفة ان يحدد لولاته وقادته طريقة سيرهم في حكم ولاياتهم ويحتم عليهم ان يردوا اليه مايحدث حتى يكون هو الذي ينظر فيه ثم يأمرهم بأمره وعليهم التنفيذ ولانه يرى ان الخليفة مسؤول عن عمله وعن عمل ولاته في الرعية، مسؤولية لايرفعها عنه انه اجتهد في اختيار الوالي، فلما تولى الخلافة خطب الناس فقال (ان الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم وابقاني بعد صاحبي فوالله لايحضرني شيء من امركم فيليه احد دوني، ولايتغيب عني قالوا فيه عني الجزاء والامانة ولئن اساؤوا لانكلن بهم) وكان يقول ان عناقاً بشط العراق ضاعت لحسبت اني مسؤول عنها وكان يقول ايما عامل لي ظلم احد و بلغتني مظلمة فلم اغيرها فانا ظلمته و يقول ارأيتم اذا استعملت عليكم خير من اعلم ثم امرته بالعدل اكنت قضيت ما علي قالوا نعم قال لا حتى انظر في عمله اعمل بما امرته بالعدل ام لا، ثم نظر عمر فرأى ابو بكر وامراؤه يسيرون على السيرة التي عودهم اياها ابو بكر من الاستقلال في الرأي وحرية التصرف اللامركزية فيما تحت ايديهم من الدولة واموالها فاراد ان يكفهم و يعدل بهم الى سيرته ومذاهبه فرضى بعضهم وابى آخرون كان ممن ابى عليه ذلك خالد بن الوليد روى ابن حجر في الاصابة عن مالك بن انس ان عمر لما ولي الخلافة كتب الى خالد الا تعطي شاة ولا بعيراً الا بامري فكتب اليه خالد اما ان تدعني وعملي والا فشأنك بعملك فقال عمر: ماصدقت الله ان كنت اشرت على ابي بكر بأمر فلم انفذه فعزله ثم كان يدعوه الى العمل فيأبى الا ان يخليه يفعل مايشاء فيأبى عليه فعزل عمر خالد من وجهة سياسة الحكم وحق الحكم في تصريف شؤون الدولة ومسؤوليته عنها طبيعي ان يقع كل يوم مثله في الحياة ولايبدو فيه شيء غريب يحتاج الى بيان اسباب تجاذبها روايات وآراء وميول ونزعات وقد اثبت الواقع التاريخي ان عمر رضي الله عنه كان موفقاً اتم التوفيق وقد نجح في سياسته فيعزل و يولي فلم يكن من ولاة اقل كفاية ممن عزله وذلك لروح التربية الاسلامية التي قامت على ان تضمن دائماً للامة رصيداً مذخوراً من البطولة والكفاية السياسية الفاضلة وكان يسيراً على البحث ان يذهب في قصة عزل خالد هذا المذهب ولكن شاء ميل بعض الباحثين ان ينظر لهذه القصة

نظراً يبعد بها عن البساطة واليسر و يدخل بها في مضائق التعليل الذي لايرضى تبرئة عمر الا بتأثيم خالد ولا تبرئة خالد الا بتأثيم عمر كأنما التأثيم لازم وواجب ان يلحق باحد الرجلين العبقر يين.

كان بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد تقارب شديد في الطبائع الاصلية الثابتة وكان بينهما اختلاف شديد في الاخلاق المكسوبة فتجمعهما الصلابة و يفرق بينهما السلوك في الحياة وصلابة الطبع عند عمر تجلت في مواقف عديدة على عهد النبي فقد تجلت في موقفه من الاسرار بالدعوة وفي طر يقة اعلان اسلامه للملأ وفي الطر يقة التي هاجر بها من مكة الى المدينة وفي موقفه من اسرى بدر ورأيه فيهم وفي موقفه من صلح الحديبية في كل موقف من هذه المواقف مثل من امثلة صلابة الطبع وقصة اسلامه مثل كامل يجمع بين مثلين في تصو ير صلابة الطبع، مثل في مبدئها يصور عمر في جاهليته المتغطرسة ومثل في نهايتها يصوره في اسلامه الشامخ بعزة الايمان وقوة الاعتداد بالعقيدة التي دان بها بقلبه وعقله وروحه وجسمه. اما صلابة الطبع عند خالد فقد كانت حياته كلها.

مثلاً واحد لها فهو رجل نهد على الحرب لم يفارقها في جاهلية او اسلام تسب وفي يده اعنة الخيل وقيادة الجند الفت نفسه القتال هجوماً او دفاعاً في سبيل الله وهو الذي يقول لما راى صبر اهل اليس وشدتهم في القتال اللهم ان لك علي ان منحتنا اكتافهم الا استبقي منهم احد قدرنا عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم ولما امره ابو بكر بالتوقف عن الهجوم وهو في الحيرة ليستجم جنده و يدبر امر ما فتح من البلاد ويحمي ظهره اقام سنة لايقاتل فقال: الا انها سنة كانها سنة نساء وقد فرقت الحياة بين عمر وخالد في السلوك فعمر بن الخطاب كان مع النبي عليه السلام وز يراً ومشيراً وكان مع ابي بكر ومعيناً ثم كان بعده خليفة يرعى امور المسلمين و يسومهم بسلطان الله فهو رجل سياسي ومفكر.

اما خالد فسلوكه في الحياة وعمله فيها لم يختلفا في شيء عن طبعه في الحياة فقد ظل في الاسلام كما كان في الجاهلية قائداً عسكر ياً يخوض الغمرات و يقتحم الميادين و يقاتل و يقتل وهي حياة تتجاوب مع ماله من طبع صلب ينفر من القيود ويميل الى الحر ية ولم يتعود ان يؤمر فيطيع ولكنه تعود ان يأمر فيطاع يقوم امره على السرعة الحاسمة لايتلبث للعقبات يداورها او يحاول التفادي منها ولكنه يواجهها مواجه محارب حتى يهزمها. صر يح صراحة يحسبها من لم يرزه (يختبره) جفوة وغلظة تردهيه الشدائد وتطر يه ويحرص على الموت في مضانه و يطلبه يصف نفسه و يذكر احب شيء اليه في الحياة (ما ليلة يهدي الى فيها عروس انالها محب او ابشر فيها بغلام احب الى من ليلة شديدة الجليد في سر ية من المهاجر ين اصبح فيها العدو فعليكم بالجهاد) ولما عزم السير الى مالك بن نو يرة توقف الانصار عن متابعته فلم يثنه توقفهم عن عزمته فيقولون له ما بهذا عهد الينا الخليفة بل عهد الينا ان نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا القوم ان نقيم حتى يكتب

الينا فيجيبهم جواباً ينتزعه من طبعه الاصيل في تقديس الاستقلال في الرأي وحرية التصرف فيقول اريك عهد اليكم هذا فقد عهد الي ان امضي وانا لامير والي ينتهي الاخبار. ولوانه لم يأتني له كتاب ولا امر ثم رأيت فرصة فكنت ان اعلمته فاتتني لم اعلمه حتى انتهزها وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد الينا به لم ندع ان نرى افضل مايحضرنا ثم نعمل به وكذلك في خطبته التي جمع بها الامراء يوم اليرموك تحت لوائه لون من الوان ذلك الطبع الاصيل.

اما سلوك عمر فكان يتطلب عنه طبيعته الصلبة، فوجه ذلك الى قهر غرائزه من الحياة الدنيا وزينتها واشتد في ذلك بما يناسب ما انتهى اليه من تبوئه ارفع مكان في الاسلام يرنوا اليه اعظم آملاً في تاريخ الحياة. فكان يرى انه المثل الاعلى في التأسي به ولو خاض غمرات الدنيا لخاض وراءه الناس فلك امره وساس نفسه قبل ان يسوس الناس وكان يرى ان يكون ولاته وامراءه في اقطار الاسلام على سنته زهادة في الدنيا ومجافياً زخارفها وكان يقول لهم يا معشر الامراء (ان هذا المال لو رأينا انه يحل لنا لاحللناه لكم فاما اذا لم يحل لنا وظلفنا (منعنا) انفسنا عنه فاظلفوا عنه انفسكم. فكان حريصاً اشد الحرص على تفقد احوالهم والاطلاع على تصرفاتهم اطلاعاً كاملاً وتقييدهم باوامره).

وليس من الشك في ان للبيئة الخاصة (البيت والاسرة) اثراً في سلوك كل من عمر وخالد فعمر شب في بيته واسرته على التقشف وخشونة العيش فلما بلغ في الاسلام ما بلغ راضي النفس على اشد مما كان عليه في بيئته الخاصة استجابة لمقتضيات منصبه من التأسي به باعتباره مثلاً اعلى للفضيلة الاسلامية اما خالد فقد شب في بيئة يكتنفها ثراء المال وعز الجاه وهما من اهم اسباب الاعتداد بالنفس الذي يبدو لاول نظرة انه لون من الوان الزهور والخيلاء، ينال المتعة من ادنى سبلها فلما بلغ في الاسلام مابلغ لم يمنعه وهو في مكانه من الاسلام ان يستجيب للتمتع بالحياة اذا رضي عنه الاسلام وقرت به عين شريعته وهذا وغيره يدلنا على مقدار مابينهما من تباعد في الاسلوب ومن هنا بدأت طلائع الافتراق بين عمر وخالد لان طبيعة خالد العسكرية ظلت على صلابته والفها للاستقلال الكامل وحرية التصرف في عمله الذي اسند اليه وعمر لايرضيه ذلك استجابة لطبيعته وسلوكه في الحياة وهنا ارادت كل طبيعة الاحتفاظ بخصائصها وقد كانا في مكانين في الدولة ليس فوقهما مكان فعمر خليفة المسلمين وخالد قائد جيوش للمسلمين فلا مفر من ان تقف احدى الطبيعتين عن سيرهما ليفرغ الافق للاخرى حتى تأخذ مجالها الحيوي في النهوض بالامة وكان طبيعياً بمقتضى منصبي الرجلين العظيمين ان تقف الطبيعة الخالدية لتترك المجال للفاروق لان خالد قد ابلغ مداه في مكانه من الدولة اما عمر فكان قد بدأ اشواطه ولما يبلغ المدى المقدر له في مكانه من الدولة وليس عجيباً ان يوفق عمر الفاروق بعد عزل خالد في كشف النقاب عن شخصيات عسكرية قيادية لعديد من ابطال الاسلام كانوا كلهم خالد في قوته و بطشه وظفره ويمن نقيبته.

وعمر حين عزل خالد عن قيادة الجيش لم يحرم الجيش والقيادة العسكرية والاسلامية من هذه العبقرية فهو يعينه اميراً لاحدى فرق الجيش وهو بذلك يكون قريباً من ابي عبيدة ولن يبخل عليه بمشورته ورأيه وهو بذلك مصيب فقد نجى الامة من مغبة التصادم بين اعلى سلطتين في الامة الاسلامية سلطان الخلافة والقيادة العسكرية والتي لو طال مداها لايعلم الا الله مدى نتائجها ونصب مكان خالد القائد الفذ ابا عبيدة وهو لايقل عن خالد اقداماً وشجاعة وحسن تدبير ولكن الاختلاف بينهما في الطبيعة والسجية فابو عبيدة يأتمر تماماً بامر الخلافة و ينزه نفسه عن ادنى احتجاج وبذلك تم انسجام القيادة السياسية والعسكرية ايما انسجام ورأينا فيما بعد كيف تمكنت الامة الاسلامية من حصر نتائج هذا الانسجام بالفتوحات التي فتحها الله عليها شرقاً وغرباً.

بيد ان طبيعة خالد العسكرية لم تسكن الى روح الهدوء والتي ساس بها ابو عبيدة الجيوش الاسلامية فقد كثر في عهده الصلح والمسالمة وقلت عنوة الفتوحات والمغالبة فانتهز خالد فرصة ولايته على قنسرين وكان فتحها احدى معجزاته الحربية وكانت كلمة عمر التى قرضة (مدحه) بها حين ابلغه ابو عبيدة شأن خالد في فتحها، قد مشت الى مسامعه، ورأى فيها شهادة عمر بفضل ابو بكر في موقفه مع خالد حين قال عمر امر خالد نفسه رحم الله ابا بكر انه اعلم مني بالرجال فعاد الى طموحه وجاشت نفسه بغوارب البطولة فخرج ومعه عياض بن غنم بقوة من الجيش فادغلوا في بلاد الروم وغنموا غنائم كثيرة عادوا بها الى ولايتهم فاعطى خالد واغدق من هذا المال وتلك الغنائم وكان ممن اعطاهم الاشعث بن قيس الكندي فقد منحه عشرة الاف درهم فبلغ امر هذا العطاء عمر وكان لايخفي عليه شيء من امر الناس فاعظمه وراى فيه مظهراً من طبع خالد الاصيل وجنوحاً الى ماكان يكره منه التقدم وحرية التصرف في المال والاندفاع بالمسلمين في كمايرى وتبين لعمر ان ما صنع خالد من العزل عن القيادة اطعامه لم يكن حاسماً لامة وعاد كما بدأ فهل من صنع المصلحة العامة ان يسكت عمر فيجدد ما كان يخشاه من اصطدام بعدما اقر في الامة سياسته واشرب الناس مذهبه في الحكم والتزام امراءه وولاته فلقد حسم عمر الامر بصورة قاطعة تقف بخالد موقفاً ينأى عن مباشرة عمل يعرضه الاصطدام بالسياسة العامة في الدولة وتكون زجراً عاماً يمشي في الناس فيحسبون لمثله حساب. اصدر عمر امره بعزل خالد نهائياً ولم يكتف بذلك بل امر بمحاكمته والتحقيق معه واستقدامه الى المدينة. وهذا هو العزل الثاني وتمت المحاكمة والتحقيق واغلب الظن ان عمر راى ان خالد في قوته ورجولته اقوى على احتمال شدته الزاجرة من غيره فضرب به للناس مثلاً حتى لاتحدثهم انفسهم بمخالفة السياسة العامة التي وضعها وسارت عليها الخلافة العمرية لنظام الدولة الاسلامية الناشئة.

وهذا العزل الثاني هو الذي تحركت له بعض النفوس بالعطف على خالد والاشفاق على جيوش الاسلام، وقد ابعد عنها قائدها المظفر سيف الله خالد بن الوليد واحس عمر هذه الحركة فاراد ان يبين للناس الدوافع التي حملته على ذلك التصرف مع خالد فكتب الى الامصار ما خطب به الناس فقال: اني لم اعزل خالد عن سخطه ولاخيانة ولكن الناس فتنوا بخالد فخفت ان يوكلوا و يبتلوا به فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع ولايكونوا بعرض الفتنة ولما قال له طلحة بن عبدالله مالك عزلت خالد قال له ماعتبت على خالد الا في المال وخطب في الناس فقال اني اعتذر اليكم عن عزل خالد بن الوليد فاني امرته ان يحبس هذا المال على ضعفه المهاجرين، فاعطى ذا البأس والشرف وذا الشأن فأمرت أبا عبيدة.

والمتأمل في اعتذار عمر وتصرف خالد في المال يري لخالد وهو موقفه الحربي اصدق العذر واقومه لانه قائد يحرص على النصر بكل مايستطيع من بذل في الانفس والمال وما قيمة المال اذا كان ثمناً للنصر وخالد وهو يباشر بالحرب يعلم ان فيمن معه من ذوي البأس من لم يكن له كبير قيمة في الجهاد فهذا بحاجة الى مايقوي عزيمته و يثير حماسته من هذا المال، ولم تشرع الانفال الا لمثل هؤلاء فكان خالد يعطى ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان على هذا الاساس القويم وقد ثبت ان رسول الله عليه السلام كان يعطي من غنائم الحرب مثل هؤلاء ولما رجع من حنين ظافراً اعطى كبار الناس من قريش واعطى أشراف الاعراب وترك سادة المسلمين من المهاجرين والانصار.

ولكن الفاروق كان يرى رأياً اخر فهو ان يرى ان الاسلام قد استقر وعظمت شوكته وهو القوة التي ليس فوقها ولا حتى بجانبها قولاً فلا حاجة به الى تألف الناس بالدنيا فليوكل الناس الى ايمانهم وضمائرهم حتى تؤدي التربية الاسلامية رسالتها وتحدث اثرها في تخريج نماذج للفضيلة في ارقى معانيها واوضح صورها. هذه اذاً سياسة عمر مع ولاته فلا تصرف في اموال المسلمين دون امره ولا استقلال لهم في الحكم دونه بل لابد لهم ان يرجعوا اليه وهو يرى فيهم جميعاً قادة اكفاء فاذا ما تصرف احدهم مالا يرتضيه عزله وامر غيره من ذوي الكفاءة والقدرة فهذه امة لا تعجز ان تنجب خالداً وامثاله من القادة والعظماء وعمر لم ينفرد بعزل خالد دون غيره من القادة الذين احدثوا من الامور مالا يرتضيها عمر فهو يقول اما والله لئن صير الله هذا الامر لي لاعزلن المثنى بن الحارث عن العراق وخالد بن الوليد عن الشام وحتى يعلما ان الله هو الذي نصر وليس هما وكذلك عزل زياد بن ابيه واعتذر بنحو عذره في عزل خالد والمثنى. قال ابن الاثير في اسد الغابة لما عزل زياد قال له يا امير المؤمنين اخبر الناس انك لم تعزلني لخزنة فقال عمر ماعزلتك لخزنة ولكني كرهت ان احمل الناس على فضل عقلك وعزل المغيرة بن شعبة فقال له المغيرة: اعن عجز ام خيانة يا امير المؤمنين؟ فقال لا عن واحدة منها ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك على العامة.

وهذا المذهب في تربية الامم من احكم المذاهب وافضلها فان الامة اذا اوكلت الى عبقرية فرد وحملها الراعي على فضل عقل بعض ابنائها ماتت فيها جذوة التنافس وارتاحت الى الكسل والتواكل وضعفت عن سلسلة العبقرية وفضل العقل وهذا امر مشهود ومحسوس في واقعنا من الحياة حتى اصبح اكبر عيوب الشرق ان زعمائه وقادة الاصلاح فيه لايعنون بتدريب من يخلفهم في مراكزهم و يركزون جهودهم حول اشخاصهم. اما اثر هذا الحادث في نفس الرجلين العظيمين عمر وخالد فكان نفحة من نفحات الاسلامية التي جعلت من رجال الصدر الاول مدرسة تخرج نماذج حية للفضائل الانسانية في مثلها العليا. وقد تلقى خالد رضي الله عنه امر العزل الاول راضياً احسن مايكون الرضاء وسلم الامر الى القائد الجديد اجمل مايكون التسليم، وعمل تحت امرته نحو اربع سنوات فلم يعرف عنه انه اختلف عليه مرة واحدة اما العزل الثاني فقد تلقاه خالد في رضاء اسيف واسف خالد لم يكن على فائت من سلطان الدنيا، ولو كان اسف خالد على عظمة زائلة لكان موضع ذلك الاسف العزل الاول وقد ثبت ان سلوك خالد يوم العزل يقطع بانه لم يأسف على شيء لانه ببقائه جندياً يصول في مجال عبقريته قد ابقى له كل شيء يحرص عليه في هذه الحياة.

وانما كان اسفه على حرمانه من ميادين الجهاد وهي مطارح اماله ومطرح عبقريته ومظاهر طموحه فهو رجل احب الحرب حباً لم يترك عنده موضعاً للذة في سواها فهي قرة عينه ومضمار انسه وملهى نفسه فمن حقه ان يأسف على كل ذلك. يؤمن التاريخ ايماناً لاريب فيه ان خالد كان يوم عزله قد بلغ قمة العظمة التي فيها لامثاله من العباقرة مكان وانه بلغ من قلوب المسلمين محبتهم وتعظيمهم مكان جعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلن الى الناس انه يخشى عليهم الفتنة به والابتلاء بعده و بلغ من قلوب اعدائه ان كان ينصر عليهم بالرعب منه ورجل هذا شأنه كان يستطيع لو مال برأيه لأشعل نار الثورة في كل مكان يذكر فيه اسمه من اقطار المسلمين ولكن خالد رجل ملأ الايمان قلبه وامتزجت روح الاسلام بروحه ودمه ولحمه واستنارت فيه روحه بنور النبوة وهديها فهو منذ ان آمن بالله ورسوله شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فكان جندياً من جنود الاسلام.ابت عليه طبيعة الجندية وحبه العميق للاسلام ان يكون سبب لوقف الفتوح العسكرية التي كان قطب رحاها وقائد قواها و بطل ابطالها ومظهر ذلك يبدو واضحاً في معرفة عمر لخالد ومعرفة خالد لعمر فيوم عزله الثاني خطب الناس وودعهم فقال له رجل: اصبر ايها الامير فانها الفتنة فقال خالد:

أما وابن الخطاب حي وهذا لون من الايمان واطاعة امير المؤمنين وهو الفاروق فخالد لايشك مطلقاً في عدل ونزاهة الفاروق وهو مقتنع تماماً بما توصل الية الفاروق من قرار العزل. وحسبنا في ذلك ما قاله عمر بعد ان قدم عليه خالد في المدينة: والله يا خالد انك علي لكريم، وانك الي

لحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء ابداً وفي الطبري ان خالد لما قدم على عمر قال عمر متمثلاً:

صنعت فلم يصنع كصنعك صنع          وما يصنع الاقوام فالله صانع

وحسبنا في اخلاص عمر لخالد ومحبته له وتقديره لكفائته ما ورد في حديث الثوري وقد قيل لعمر: من استخلفت فقال: لو ادركت خالداً ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي: من استخلفت على امة محمد فقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: خالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين. ولما بلغ عمر موت خالد قال: قد ثلم في الاسلام ثلمة لا تترق، وليته بقي ما بقي في الامة حجر، كان والله سداداً لنحو العدو ميون النقيبة. فقال فيه: رحم الله ابا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه ولقد مات فقيداً وعاش حميداً ولكن الدهر ليس بقائل. ومما يروي عن خالد ما قاله وهو مريض لابي الدرداء يا ابا الدرداء لان مات عمر لترين اموراً تنكرها فقال ابو الدرداء: وانا والله ارى ذلك فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في امور لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت ان عمر كان يريد الله بكل ما فعل كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث الى من يقاسمني في مالي حتى اخذ فرد نعل واخذت فرد نعل فرأيته فعل ذلك بغيري من اهل السابقة وممن شهد بدراً كان يغلظ علي وكانت غلظته على غيري نحواً من غلظته على كنت ادل عليه بقرابة فرأيته لايبالي قريباً ولا لائم في غير الله فذلك الذي اذهب ماكنت اجد عليه وكان يكثر علي عنده وما كان ذلك الا على النظر كنت في حرب ومكايده وكنت شاهداً وكان غائباً فكنت اعطي على ذلك فخالفه ذلك في امري. ولم يكتف خالد بذلك في اخلاصه ومحبته وتقديره لعمر بل ختم حياته بالوصية الى عمر فقال: فقد جعلت وصيتي وتركتي وانفاذ عهدي الى عمر بن الخطاب. من هذا كله ندرك تماماً ادراكاً لايدع مجالاً للشك و يقيناً يفقيء عين الشمس ان اسباب عزل خالد اثنين لا ثلاث لها اولها: خوفه على الامة من الافتتان به وانه لانصر بدونه وثانيها: تصرف خالد في بعض الامور دون الرجوع لعمر ومن ذلك تصرفه بالامور المالية.

## الخلاصة :

## تعين القائد

اجتمعت الجيوش الإسلامية الاربعة، الجيش الاول بقيادة يزيد بن ابي سفيان والجيش الثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة والثالث بقيادة ابوعبيدة عامر بن الجراح والرابع بقيادة عمرو بن العاص تمركزه في الجهة الجنوبية الشرقية لنهر اليرموك مقابل جيش الروم. و بعد مرور ثلاثة شهور والجيوش بحالة دفاع (متحرك) وكانت هذه الفترة قد اعطت القادة الاربعة صورة تامة عن الموقف العام والوضع الخطير الذي يواجه هذه الجيوش الإسلامية مع جيوش الروم. فكتبوا الى

الخليفة ابو بكر الصديق يعلمه بخطورة الموقف لكثرة النجدات التي يزج بها هرقل الى ميدان المعركة.

أمر الخليفة ابو بكر بعد تلقيه صورة الموقف في اليرموك القائد خالد بن الوليد والذي يحارب في ارض العراق بالتوجه فوراً الى الشام لنجدة الجيوش الإسلامية هناك.

وبعد وصول رسالة الخليفة الى خالد بن الوليد تحرك على راس جيش الى الشام بعد ان ترك المثنى بن حارثه الشيباني على رأس جيش صغير في الحيرة (العراق)، وقصة حركة خالد من الحيرة الى الشام معروفة.

كان الخليفة ابو بكر الصديق قد اعلم خالد بن الوليد في رسالته التي طلب فيها منه التحرك الى الشام ان يتسلم قيادة الجيوش الاسلامية هناك وطلب الخليفة برسالة ثانية الى ابو عبيده عامر بن الجراح يعلمه انه قد عين خالد بن الوليد قائداً للجيوش الاسلامية حال وصوله الى اليرموك. ومما قاله (ابو بكر) الى ابو عبيده اما بعد فقد وليت خالداً أمرة قتال العدو في ارض الشام فلا تخالفه واسمع له واطع لا لانه خير منك عندي ولكن له خبرة حربية وقتالية ليست لاحد.

بعد وصول خالد بن الوليد الى اليرموك اجتمع مع القادة الاربعة وتشاور معهم في الوضع الراهن وكيف يمكن مواجهة العدو الكبير، كثير العدد والعدة. كان هذا الاجتماع حقاً رائعاً حيث تجلت فيه مصلحة المسلمين ووضعها فوق كل اعتبار بعيداً عن الانانية وحب الذات. تشاور القادة في الموقف وكانت الآية الكريمة نبراساً لهم في الاجتماع.

«فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» صورة آل عمران آية/١٥٩.

وضع خالد بن الوليد بصورة تامة عن الموقف العام، من حيث عدد قوات الروم عاداتهم اسلوبهم في القتال، وجغرافية الارض والمناخ للجانبين. وبعد معرفته لحقيقة الموقف قام بتوزيع الجيوش الاسلامية الى ثمانية وثلاثون كردوساً ولكل كردوس يتكون من الف مقاتل وله قائد. ترك الفان مقاتل كاحتياط بيده بقيادة عكرمة بن ابي جهل.

ودارت المعركة. واثناء سير المعركة توفي الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة ١٢هـ ٥٩٢م). وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والذي امر بعزل خالد بن الوليد من القيادة للجيوش الاسلامية وتعيين ابو عبيده عامر بن الجراح بدلاً منه. وصلت رسالة التعيين الى ابو عبيده ولكنه اخفى أمر العزل والتعيين حتى انتهت المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم لصالح المسلمين.

تجلت حكمة ابو عبيده في هذا الموقف الخطير فلم يعلم خالد ولم يعين نفسه حسب أمر الخليفة

الا بعد ان انتهت المعركة وحسم الموقف، واعلم خالد بهذا الامر وتقبله بكل سرور. حيث قال (انني لا اقاتل من أجل عمر انني اقاتل في سبيل الله).

لقد كان لهذا العزل فيا بعد مادة للدساسين والمغرضين للطعن في قرار عمر عندما تولى الخلافة. لم يخطىء عمر بن الخطاب كما يقول هؤلاء المغرضين بهذا القرار وهو الملقب بالفاروق ولم يخطىء وهو الملقب بالعادل، كما انه لم يخالف ابو بكر الصديق في قراره السابق بتعيين خالد، ولكنني اقول لهؤلاء المغرضين ان الخليفة عمر استند في قراره هذا الى مايلي:ـ

**اولاً :** ان ابو عبيده عامر بن الجراح امين الامة كان يتمتع بالصفة القيادية السياسية، اضافة الى القيادة القتالية والحلم بينما خالد بن الوليد يتصف بالقيادة الميدانية وكسب زمام المبادرة وعنصر المفأجاة. كان خالد يفكر بالنصر في كل معركة دون النظر الى الخسائر.

**ثانياً :** عامل السن حيث ان اكبر هؤلاء القادة سناً هو ابو عبيده.

**وثالثاً :** كان عمر ادرى الناس في الوضع الراهن في الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفة ابو بكر رضي الله عنه وماذا احدث من اضطرابات وارتداد قسم من القبائل العربية عن الدين الحنيف كما انه كان يخشى ان تكون لانتصارات خالد المتكررة تأثير سلبي في نفوس بعض المسلمين المتشككين، لم يكن للعزل اسباباً شخصية بل كانت لمصلحة المسلمين حيث ان عمر رضي الله عنه كان راضياً كل الرضا عن خالد. و بعد وفاة خالد زار الخليفة ضريحه في حمص وقال كلمته المشهورة بحق خالد (رحم الله ابو بكر انه كان اعلم مني بالرجال).

# نحو مذهب عسكري عربي

المذهب العسكري العربي

او

# نحو مذهب عسكري عربي

هذا الموضوع هو بحق ذو صلة وثيقة بموضوع « السوقية والتعبئة عند العرب» لانه في الواقع لا سوقية ولا تعبئة مسيطرة ، ولا تنظيمات ولا تشكيلات عسكرية منتظمة ولا اسس وقواعد حربية متفوقة ، ولا اسلحة ومعدات فعالة ضاربة ، ولا مناورات وعمليات حربية ناجحة ، اذا لم تتم هذه العناصر على قاعدة وجود شرعة عسكرية مستوفية الشروط، وعلى اساس تطبيقها تطبيقا متجاوبا مع اوضاع الدولة العسكرية الراهنة ، لتحقيق الغاية المرجوة من تنظيمها العسكري ، والوصول الى اهدافها المنشودة .

ولقد عنيت مجلة القوات الجوية المصرية ببحث هذا الموضوع الهام المتعلق بالكيان العسكري العربي الخاص والعام ، واعلنت عنه في مسابقة عامة بتاريخ شهر اذار عام ١٩٦٠ ، واشترك فيها عدد من ضباط الجمهورية العربية المتحدة. ونظرا لاهمية ووجاهة الموضوع المعروض ، والتعاليم والمعلومات العسكرية العديدة القيمة التي يشتمل عليها، والعلاقة الوثيقة التي تربطه بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا والمستقبل ، نظرا لكل ذلك، ينبغي أن يكون محط انظار كبار العسكريين ، وموضوع اهتمامهم العميق.

قبل أن اتطرق الى بحث موضوع « المذهب العسكري » أود ان اناقش هذه التسمية المختارة التي تقابلها باللغة الانكليزية Military Doctrine وهو ذات التعبير المعهود في مختلف اللغات الاجنبية . ولو سئلت تسميته العربية ، لاخترت كلمة شرعة بدلا من مذهب ، رغبة في اعطائها مفادة الالزامية الايجابية . ان كلمة مذهب في مفهومها اللغوي تعني الراي او الاجتهاد الخاص بفرد أو نفر من الناس ، والمذهب لا الزامية فيه ، ولا يلزم حتى مبدعه وواضعه بالاخذ به ، فكيف يمكن اذن الزام الاخرين باتباعه واعتماده . ان مرجعي في اختيار هذا التعبير مع امكان اعطائه صفة الالزامية وشروطها ، وذلك حرصا على الا يتناول مفهومه الواقعي اي تأويل مزدوج . او تفسير مبطن مناقض ، هو كتاب الله المبين في قوله تعالى وهو اصدق القائلين :

« وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

ولو شاء الله لجعلكم واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » .

ان هذا الموضوع لينبارى بحق غاية في الاهمية ، وانه ليتعذر الا على النخبة العارفة من العسكريين والخبراء بحثه بحثا مستفيضا ،وبالتالي ادراك وترتيب وضعه وتخطيطه ، واقامة تعاليمه واسسه وجمعها في انظمة مفروضة مرعية ، تكيف بالباحث الفرد ايفاء حقه ايفاء تاما بعيدا عن الخطأ والزلل . ان هذه الصعوبة ترجع الى سعة الموضوع ، وتشعب اطرافه ، وتعدد نواحيه ، وتنوع عوامله ، واختلافه عن غيره من المواضيع العلمية الاخرى لاشتماله عليها كلها معا ، ولانها كلها ملاحق مؤلفة ترتبط وتحيط به احاطة وثيقة فلا يمكن اغفالها او الاستغناء عنها .

ان مجمل التعقيدات الظاهرة والخفية التي تكتنف وضع وارساء قواعد الشرعية العسكرية يجب الا تقصى الباحث عن تقصيها .

ان الشرعية العسكرية السليمة المعتمدة في امة ما ، يجب ان تكون شرعة وطنية لا مستوردة ولا مستعارة من شرع اخرى بل شرعية خاصة بها بتحقيق مفهومها ووضعها وفقا لواقعها وطبقا للمتطلبات التي تحيط بها ، وتجاوبا مع وضعها السياسي العام العسكري الراهن .

ان لكل امة من الامم العسكرية الكبرى في العالم شرعة عسكرية ، اشترك في دراستها ووضعها كبار قادتها وعلمائها وعسكرييها وخبرائها . وهي في ذاتها وجوهرها لتختلف عنها بين دولة واخرى ، وان الدولة التي تضع وتعتمد شرعة عسكرية خاطئة ناقصة لتتعرض بسببها الى احداث وكوارث مشؤومة .

اننا نحن معشر العرب اليوم . لا نملك شرعة عسكرية عربية بالمعنى المقصود، بل ان شرعتنا الراهنة هي خليط مستعار من عديد الشرع التي ارتبطنا بها اضطرارا بحكم اوضاعنا السابقة التي عشناها وبلوناها ، وبحكم الحاجة للوسائل الحربية التي بين ايدينا ، بينما اجدادنا القدامى كانت لهم شرعة عسكرية عربية خاصة بهم وضعوها بانفسهم وحققت لهم عوامل التفوق والفوز .

ان علتنا في عدم وجود شرعة عسكرية لدينا اليوم ، علة خرجت عن نطاق رغبتنا وحيلتنا وقدرتنا ، وان اسبابها تعود الى بقائنا عهدا طويلا ، اما قيد سيطرة استعمار مباشر ، او نفوذ اجنبي طاغ ، او وجودنا رازحين تحت تاثيرات غير مباشرة . فلم يكن هناك استقلال ناجز يحمينا و نرعاه ، ولا جيش وطني حر يدافع عنا ونعمل على تعزيزه، واللحاق بشقيقاته الدول العربية المتحررة . ولذا يجدر بنا نحن العرب العسكريين،ونحن جادون في بناء كيان امتنا ، ان نفكر بالموضوع الذي نحن بصدده تفكيرا جديا ، وان نضع لجيشنا المفدى شرعة عسكرية حربية مختارة ، تتجاوب مع حاضرنا الراهن ومع مستقبل امتنا .

## ١- الشرعة العسكرية الاجنبية وتعاليمها :

اذا عن لنا ان نمحص شرع الدول الاجنبية الكبرى،ونعني بدراستها ، كالشرعة الانكليزية والالمانية والافرنسية والروسية واليابانية والامريكية والسويدية والسويسرية وغيرها لالفينا ان لكل بلد من هذه البلاد شرعتها التي تتجاوب مع اوضاعها واحوالها وامكاناتها .

فالشرعة الانكليزية تبدت في الواقع شرعة مزدوجة الوجه : اولهما شرعة دفاعية بحته فوق صعيد الجزر البريطانية ، وتتبين ثانيهما شرعة هجومية مطلقة عبر البحار والقارات الاخرى وهذا وذاك فرضتهما الاوضاع المحيطة ببريطانيا والتي جعلتها في مأمن من عاديات الغزوات والغارات المباشرة وهي معزولة بحكم طبيعتها تفصلها البحار المحيطة بها عن اليابسة ، وتمنعها عن الامم المعادية المجاورة ، ويزيد قدرة دفاعها قوة اسطولها الحربي الذي تعتمد عليه في صد المحاولات العدوانية عن ارضها .

بينما نرى ان الشرعة العسكرية الالمانية تبدت شرعة هجومية مطلقة لان غالبية البلاد الالمانية تتألف من اراض مستوية يسهل اجتيازها ليس لها حدود موانع طبيعية منيعة تحميها وهي بواقع هذا الوضع الجغرافي محاطة بدول متعددة قوية. ومعرضة لاحتمالات الغزو والاكتساح ، مفتوحة الاطراف والحدود ، فكان المفروض في شرعتها العسكرية أن تكون هجومية مطلقة غايتها القاء العدو بعيدا عن حدودها لحمايتها، ومنازلة وقتالة فوق صعيده بالذات لتحول بينه وبين طغيانه على اراضيها واقاليمها.

اما الشرعة الفرنسية فقد تقلبت تباعا من طور الى طور ، فقد عهدناها دفاعية قبل الثورة الافرنسية ، ثم انبرت هجومية مطلقة في عهد نابليون بونابارت . وعلى الرغم من احتفاظها نظريا بطابعها الهجومي ، فقد تجمدت ابان الحرب السبعينية عام ١٨٧٠ — ١٨٧١ ، وتركزت قواتها على الدفاع في مواقع « ميتز » و « سيدان » المحصنة وتربصت أمام اندفاع الجيوش الالمانية الزاحفة بقيادة الماريشال فون مولتكه الشهير، والتي استطاعت اجتياز مواضعها الدفاعية واحاطتها وتطويقها واجبار قواتها اخيرا على الاستسلام . بيد انها في الحرب العالمية الاولى بين اعوام ١٩١٤ — ١٩١٨ اعتمدت هي وحلفاؤها شرعتها الهجومية رغما من تراجعها الاضطراري البدائي أمام العدو الغازي ، وقد نجحت اخيرا في صد وايقاف اندفاع الجيوش الالمانية ودحرها،وأجبرت المانيا اخيرا على عقد الصلح .

وقد بقيت الشرعة الافرنسية شرعة هجومية في مفادها النظري والنظامي ، الا انها تجمدت من جديد مرة اخرى وتثبتت على الدفاع وراء خطوط ماجينو الدفاعية القوية التي شيدت لتكون خط انطلاق عام،وقواعد خروج عتيدة ، لا قواعد دفاع وتربص مطلق ، وتبلورت عمليا في نظام دفاعي بحت عند انطلاق الحرب العالمية الثانية . وحطمت الجيوش الالمانية المتحركة الزاحفة القوات الافرنسية المتربصة في مواقعها بسوقية هجومية صاعقة وتعبئة ضاربة اخترقت بها نقاط اتصال تلك الحصون الواقعة بين

بلجيكا وفرنسا واكتسحت بسرعة متدافعة الاراضي الفرنسية فسقطت الحصون والقلاع المنيعة كلها بدون قتال ، وانهارت قوات فرنسا العسكرية في ايام معدودات واضطرت لالقـــاء السلاح والتسليــــم .

اما الشرعة الروسية العسكرية فقد تبدت شرعة هجومية في موقعة اوسترلبتز ، ثم تحولت دفاعية تراجعية امام زحوف نابليون الاول . وانقلبت بالتالي هجوميـة مطلقة في الحرب العالمية الاولى في مواقع بروسيا الشرقية وجبال الكاربات . ثم تطورت من جديد دفاعية هجومية ، ثم هجومية مطلقة اثناء الحرب العالمية الثانية . وكان لهذه الشرعة اثر بالغ في اثبات تفوقها على الشرعة الالمانية بحكم سعة مجالها وامتداد مواصلاتها وقسوة بيئتها ومناخها ، ووفرة قواتها وشدة مراسها ومقاومتها ، واندفاع القوات الالمانية اندفاعا متطرفا ، وكانت سببا هاما في دحر الجيوش الالمانية القوية واخراجها من الاراضي الروسية كلها بعد انهاكها تباعا والقضاء عليها اخيرا .

واذا القينا نظرة على الشرع العسكرية الاخرى ، ومنها الشرعة اليابانية والشرعة الامريكية ، نجد انهما متشابهتان في نظامهما العام ، وهما هجوميتان توسعيتان انبثقتا من واقع وجود بلديهما في مأمن من اخطار الغزو الخارجي ، وشهدنا اندفاع الاولى وراء التوسع والاستيلاء ، وسعي الاخرى وراء مناصرة الدول الصديقة ومعاونتهـا في ساحات آسيا وفي ميادين أوروبا الحربية لتحقيق الاستعمار الاقتصادي .

واخيرا نلاحظ ان شرعة بلاد السويد وسويسرة العسكرية ، هما شرعتـان دفاعيتان متشابهتان في نظامهما على الرغم من اختلاف طبيعة وبيئة كل منهما ، وهما ترميان الى الاحتفاظ بالارض والمدافعة عنها ، ذلك ان هاتين الدولتين محاطتان بدول مجاورة قوية ، وبلديهما بمواقعهما الطبيعية المنيعة أصلح للدفاع من الهجوم .

وخلاصة للقول ، اننا نتبين مليا ان شرع الدول الانفة الذكر انبثقت كل واحدة منها عن واقع أوضاعها السياسية والعسكرية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ( البشرية ) . ما كانت قط مستوحاة أو مستعارة من شرعة دولة اخرى ، بل ان لكل منها شرعتها الخاصة التي وضعت على أساس الاوضاع الراهنة والامكانـــات والالزاميات القائمـــــة .

## ٢ ــ الشرعة العسكرية العربية القديمة :

لقد تبينا من وقائع تاريخ العرب العسكري في الجاهلية ( كموقعة ذي قار وغيرها )، ان العرب القدامى كانوا يعتمدون بالفعل طرائق حربية وقواعد خاصة في معاركهم ومواقعهم التي خاضوا غمارها ، وانها بنيت طبعا بموجب شرعة حربية معينة ، بيد ان نظام تلك الشرعة وقواعدها لم تدون ولم تكتب في زمن لم تكن تدون فيه نظريات الحرب

وقواعدها وأسسها ، بل ان تعاليم الحرب كانت وقفا على نفر من الرجال القـادة وصحبهم اعوانهم يلقنها أو يتلقنها الواحد عن الاخر بالاقتباس والخبرة والمران ومنها ماكان فطريا موهوبا يتعلمه العربي في عرض صحرائه وبيدائه ، ومنها ما كان مكتسبا يقتبسه عن جيرانه واصدقائه المحاربين .

وكانت جموع العناصر المقاتلة من رجال القبيلة او العشيرة تعمل تحت امـرة هؤلاء القادة الموهوبين ، يخدمون طواعية ويتصرفون طبق توجيهاتهم وتوصياتهـم الحربية . وكان عليهم ان يتقنوا فقط ما يتعلق بهم ، وما يترتب عليهم مـن واجبات القتال المألوفة التي برعوا بها ضمن القوة الضاربة أو الغازية التي كانوا يحاربون تحت لوائهـــا .

وكانت شرعتهم في الجاهلية شرعة كر وفر ، شرعة هجومية للاغارة والغزو ، وشرعة دفاعية لمقابلة الخصم المغير الغازي ودحره . وتبدت هذه الشرعـــة في حدودها الضيقة قائمة على عامل التفوق والغلبة مع المحافظة والبقاء . وكانت هذه الشرعة المرنة خاصة بالعرب وحدهم لا ينازعهم فيها منازع ، وكانت شرعة غالبة قاهرة كرها عسير الصد . وفرها بعيد الملاحقــة ، فيها تركزت وترتبت عوامل الايجابيـــة والسرعة والمفاجأة والحذر والاقدام بدرجة فائقة عجيبة . ولطالما عمل انصار هذه الشرعة الفذة على تحقيق غاياتهم وأهدافهم مهما كانت الظروف والاحوال المحيطة بهم ، فان نجحوا غزوا وسلبوا وغنموا ، وان اخفقوا تراجعوا وفروا ونجوا وعادوا أدراجهم سالمين من حيث أتوا دون خسارة تذكر أو أذى كبير .

وما كان لهذه الشرعة في واقعها أي ضابط أو نظام مفروض على حماتها غير روح التعاون القبلي والتعاضد العشائري اللذين جمعا بين مصالح القبيلة والعشيرة افرادا وجماعات ، وانساق هؤلاء باخلاص وتفان منقطعين النظير في سبيل نصرة هذه المصالح، يسيرون بانقياد لا مثيل له ، وعلى نظام كاقوى ما يكون عليه النظام العسكري .

ثم جاء الاسلام وفرض شريعته على العرب المؤمنين الذين كانوا على قلة وضعف، ثم بدؤوا يزدادون قوة ومنعة يوما بعد يوم، وكان لرسولهم عليهم سيادة زمنية محببة مؤيدة طاعوها ، وسلطة دينية موقرة مطاعة خضعوا لها عن رغبة ، وفرض الدين عليهم شريعة قوامها دافع ايمان وخضوع ، وجهاد مفروض لحماية الاسلام والذود عن المسلمين ، وقد أوجب عليهم نظاما اجتماعيا ، في مخالفته والخروج عليه عصيان منكر وكفران أثيم ، وهكذا ارتفع لاول وهلة عماد دولة العرب ، وقام كيان دولة العرب .

وكان لا بد لهذه الدولة الناشئة الفتية ان تحمي كيانها وانصارها من عـدوان المعتدين وطغيان الكفار والمنافقين ، وتدفع عن نفسها شرورهم وطغيانهم ، وكان لا بد من قيام النزاع بين الفريقين ، وبدأت رحى القتال تدور بين الجانبين ، بين دعـاة الاسلام واخصامه ، وجرى القتال بينهما على اشده وكان قتالا لا هوادة فيه ولا لين .

وظل المشركون على شرعتهم الحربية التي اتينا على ذكرها انفا ، واتبع المسلمون شرعة حربية جديدة ، وقد توزعت تعاليمها العديدة في شتى سور وايات القران الكريم والتي لا تسمح هذه العجالة المتواضعة بتبيان قواعدها العديدة ، وكانت شرعة دفاعية هجومية مندمجة متواصلة انبثقت عنها الشرعة العربية الاصلية التي انتصر بها العرب على اعدائهم في كل ساحة وفي كل ميدان .

وكان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم بذاته منفذ هذه الشرعة الغراء ومدبرها وقائدها الملهم الاوحد وتبدى بفطرة والهام القائد الفذ والمعلم العارف . وانبرى بذاته يفقه بها من حوله من الرجال الافذاذ ، ففتحوا بها الارض شرقا وغربا ودالت امام جحافلهم الاصقاع والاقاليم الواسعة وكفى بالرسول معلما ورشيدا .

**٣- الشرعة العسكرية العربية الحديثة :**

يمكننا القول ان الدول العربية اليوم ليس لها شرعة عسكرية خاصة مقررة او مدونة ، لاسباب مر ذكرها .

ان الشرعة العسكرية العربية المفروض وضعها حاليا ، والتي يجب ان تتجاوب تجاوبا مطلقا مع واقعنا السياسي والحربي ، ووضعنا العربي الخاص والعام من مختلف النواحي ، يفرض فيها ان تكون ذات نظام مزدوج ، ونعني بذلك ان تتالف من شرعة صغرى تخص كل دولة عربية على حدة ، وشرعة كبرى تكتنف كيان الوحدة العربية الكبرى ، تبعا لما ستقرره ارادة الشعوب العربية جمعاء واجابة لما ستفرضه السياسة القومية العربية للاقاليم المتحررة او التي ينتظر تحررها ، ليكتمل الكيان العربي الموحد .

اننا اذا امعنا النظر ودققنا البحث في مختلف الشرع الاجنبية العسكرية التي اتينا على ذكرها ، الفيناها لا تنطبق في خطوطها الكبرى انطباقا ملائما على خطوط الشرعة العسكرية العربية لتباين البلاد الطبيعي ، واختلاف طبيعة الاقاليم وتنوع بيئاتها ، وتفاوت الاوضاع العامة فيما بينها . وخلاصة القول نرى اننا نخرج من هذه الدراسات والبحوث المعنية كلها ، بظاهرة لا خلاف عليها ، وهي عدم امكان تبني اية شرعة من شرع هذه الدول ، او اختيار شرعة واحدة منها تتجاوب مع الشرعة التي يتوجب علينا اعتمادها كشرعة حرب خاصة ببلادنا ثابتة القواعد مكينة الاركان مما لا عيب فيه ولا نقصان .

لذا نرى لزاما علينا أن نعرض مبدئيا عن فكرة النقل والاستعارة والتقليد ، وان نضع بانفسنا شرعتنا العسكرية الخاصة بنا ، وان نرسي بأيدينا قواعدها ، وان نجعلها شرعة عربية قومية متسقة تتجاوب كليا مع واقع بلادنا الراهن بكل نواحيه . وقبل

البدء بتخطيط خطوط هذه الشرعة الكبرى المعقدة ، يتوجب علينا دراسة أوضاعنا السياسية والعسكرية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية «البشرية والجيوبوليتيكية»

### ا . الوضع السياسي العام للبلاد العربية :

ان كافة البلاد العربية كانت وما تزال حتى يومنا هذا محط اطماع الـــدول الاستعمارية سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، وان مرد هذه المطامع رغبة هذه الدول في السيطرة على اقاليمنا ومرافقنا التي تؤلف بالفعل ، اما قواعد سوقية ( استراتيجية ) لها علاقة وثيقة بالضرورات العسكرية المرتبطة بمصالحها الحربية . واما مناطق استغلال اقتصادي للافادة من مواردها وثرواتها الوفـــيرة .

لهذه الاسباب وغيرها وقعت الشعوب العربية برمتها وبالرغم عنها تحت سيطرة الاستعمار ، ورزحت تحت نيره الثقيل . بيد أن وعي الشعوب المغلوبة على امرها اخذ يستيقظ من غفلته ويصحو من غفوته بعد الحربين العالميتين الاخيرتين وبدات تتلمس طريقها الى التحرر ، وسبيلها نحو التقدم بخطى متدافعة وعزيمة متواصلة وتنبهت احاسيسها القومية والوطنية . فتعاظم وعيها ، وشعرت ان لها حقا مطلوبا في الحياة الحرة الكريمة ، وان لا حق لغريب او اجنبي ان يتدخل بشؤونها ، وان يتصرف بمقدراتها ويلعب بمصائرها على هواه ومبتغاه . فانبرت تكافح من أجل هذا الحق ، وتناضل من اجل حريتها المسلوبة . وكانت الشعوب العربية من بين هذه الشعوب كلها اسبق الى النهوض لتحقيق غاياتها واهدافها فتحرر بعض شعوبها تحررا ناجزا ، وتحرر البعض الاخر تحررا جزئيا ولكنه ظل يرزح تحت تاثير الاستعمار ، وما يزال البعض الاخـــر يناهض الاستعمار وطغيانه ويكافح بقوة وعزيمة .

### ب ــ الوضع العسكري العام الراهن للبلاد العربية :

ان وضع الدول العربية العسكري برمته وضع دفاعي مطلق حتى في حالـــة العدوان عليها ، وهذا الوضع فرضته عليها الاحوال الراهنة المحيطة بها ، وهـــي ملزمة اليوم ان تتربص عليه مؤقتا لاسباب عدة وهي :

١. ان البلاد العربية غير موحدة الاقاليم والاجزاء . وهذا الوضع من طبيعته أن يمثل ضعفا ونقصا بارزين في كيانها العسكري وقدرتها الحربية ، ويعرضهـــا لمختلف الاحتمالات السيئـــــة .

٢. ان سياسة البلاد العربية سياسة سلمية وغير عدوانية ، والشعوب العربيـــة ترمي الى التجمع والتكتل والتوحد ، وتهدف الى هذه الغاية باخلاص من اجل اقامة كيان عربي قوي يحميها ، ومن اجل ازالة عوامل الضعف والنقص المتقدمة الذكـــــــــــر .

٣. ان سياسة البلاد العربية الاقتصادية التي ترتبط بسياستها العسكرية تعمل بقوة من اجل رفع مستوى البلاد وشعوبها ، وتعزيز اقتصادها كما يتمشى تقدما مع سياستها للوصول به الى مستوى ارقى .

٤. ان البلاد العربية المتحررة تهدف الى تحقيق الاستقرار السياسي العام الداخلي والخارجي معا ، لتنصرف بعد ذلك الى توطيد وتعزيز هذا الاستقرار وحمايته من خطر اسرائيل العدواني وطغيانه اولا ، وبالتالي من عبث الاستعمار واطماعه الخطرة ، وتطهير البلاد من ادرانه وعلله ، ومن تأخر القومية العربية في سيرها وتقدمها ومسايرتها سياق الركب العالمي .

ولذا فان وضعنا العسكري العام الراهن هو مؤقتا وضع دفاعي سيتطور حتما بعد زوال الاسباب والموانع القائمة التي اتينا على ذكرها الى وضع اخر .

## ج ــ الوضع الجغرافي العام للبلاد العربية :

ان اراضي البلاد العربية بمجموعها تؤلف وحدةمتلاصقة متلاحمة الارجاء ، فهي تستطيل لتشمل عددا من الاقاليم والاقطار التي تتوزع على اطراف قارتين قديمتين ، الجزء الغربي من القارة الاسيوية والجزء الشمالي من القارة الافريقية . وتمتد بعيدا ايضا من الشمال الى الجنوب وهي تؤلف بارتسامها مستطيلا تتسع جوانبه تارة وتضيق تارة اخرى ، وتستند ميمنته الى حدود ايران والخليج العربي وترتكز ميسرته على المحيط الاطلانطي ، وجانبه الشمالي على البحر الابيض المتوسط والحدود التركية الجنوبية ، وجانبه الجنوبي الى الصحراء الافريقية الكبرى وبلاد الحبشة والمحيط الهندي ، يتوسطه الاقليم المصري والسودان وتترتب فيه شرقا لبنان وسوريا والمملكة الاردنية الهاشمية والصحراء السورية والعراق والسعودية والكويت واليمن والامارات والمحميات والصحراء العربية ، وتترتب فيه غربا مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والصحراء الافريقية والسودان ، ويحيط بالمستطيل محيطان وبحران ، المحيط الاطلانطي والمحيط الهندي ، والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط . وتواجه سواحله الشمالية المطلة على البحر الابيض ست دول وهي : تركيا واليونان ويوغسلافيا وايطاليا وفرنسا واسبانيا ، كما تحاذي سواحله الشرقية مملكة ايران ودولتي الباكستان والهند وتتصل حدوده الجنوبية بالبلاد والمستعمرات التالية :ــ

اريتيريا ــ الحبشة ــ كينيا ــ الكونغو ــ افريقية الاستوائية ــ الصحراء الكبرى وريودورو .

وهكذا يتبين لنا من هذه الصورة الموجزة الموقع الجغرافي العظيم الذي تشغله البلاد العربية في العالم ، ومركزها السوقي الاستراتيجي البالغ الخطورة ، واهمية شبكة مواصلاتها التي تربط بها العالم ، ووفرة مواردها الاقتصادية المتنوعة التي وفرت لها بيئتها المعتدلة او القارية في اغلب اقاليمها واقطارها .

مخطط رقم ( ٤ )

أقطار الوطن العربي

المحيط الأطلسي
المغرب
الجزائر
تونس
ليبيا
البحر المتوسط
مصر
القاهرة
النيل
السودان
الخرطوم
البحر الأحمر
سوريا
العراق
الأردن
السعودية
الرياض
اليمن الجنوبية
صنعاء
عمان
مسقط
الصومال
مقديشو
المحيط الهندي
موريتانيا
نواكشوط
الصحراء الغربية
الرباط
طرابلس

واذا عاينا خارطة البلاد العربية نرى ان اقاليمها تتألف من اراض معمورة خصبة، أو من صحاري واسعة قاحلة ، بعضها محمي وبعضها مكشوف معرض ، وجبال بعضها شاهق ممتنع ، وبعضها هضاب سهلة الاجتياز . تتخللها أنهار كبرى تصلح للملاحة كدجلة والفرات والنيل ، أو جداول ومجاور مائية هينة العبور ، وهي في مجموعها ليس لها حدود طبيعية منيعة تستوقف أو تحول عاديات الغزو والاغارة صوب اتجاهات أخرى ، وهي تؤلف في طبيعتها عتبات ومجالات سوقية ذات شأن كبير تصل الشرق بالغرب والجنوب بالشمال ، وتكتنف خطوط مواصلات طبيعية هامة تنطلق نحو مختلف الاتجاهات والانحاء .

### د ــ الوضع الاقتصادي للبلاد العربية :

تقع اغلب البلاد العربية كما سبق القول عنها انفا في المنطقة المعتدلة والاقليم القاري ، وعلى سواحل البحار والمحيطات المعتدلة والدافئة ، وان اغلب هذه الاقاليم بحكم واقعها الطبيعي والجغرافي والمناخي تعد من الاراضي الغنية الخصبة بمواردها الاولية الوفيرة . كما انها تملك ثروات أرضية باطنية هائلة من معادن وزيوت أصبحت في عصرنا الحاضر عصب الاقتصاد وركن الصناعة ومادة النقل والحرب ، ويتوفر لها أيد عاملة كثيرة نشيطة من شأنها أن تعزز اقتصادها تعزيزا وافيا ، وهي بمواردها وامكاناتها المتقدمة الذكر ، تستطيع أن تتبض على ناصية اقتصاد بالغ الاهمية ، وان تؤمن لشعوبها الاكتفاء الذاتي ، والاستغناء الخارجي يوما من الايام اذا أحسن توجيه هذا الاقتصاد ، واذا أمكن استغلاله استغلالا وجيها بحرية ووفق نظام مقرر موجه .

### هـ ــ الوضع الاجتماعي للبلاد العربية :

ان الشعوب العربية ذات ماض تاريخي مجيد . وكان العرب في عصورهم السالفة ، أصحاب بأس وشكيمة وغيرة وحمية وروح حربية . يتعشقون الحرية ويحبون السلام اذا تركت لهم الحرية أو تركوا بأمن وسلام . وما كانت الشعوب العربية بعد الاسلام واعتناق أو مبادئه الانسانية السامية شعبا طامعا معتديا.

بدا هذا الشعب أمة بارة « محسنة » حملت الى مختلف أرجاء العالم الشفقة والرحمة والعون . وكم كان لها من أيد بيضاء على العالم تختلف عن غيرها من الدول الظالمة الغاشمة التي لا هم لها الا الطمع بغيرها ، والعدوان بغية الربح والكسب . والعرب محبون لبلادهم وأوطانهم يحرك نفوسهم حبها والحنين العميق اليها . وهم أصحاب نخوة وغيرة على مواطنيهم وغير مواطنيهم . وهم سخاة مضيافون ، ينفرون من الظلم ويكرهون السيطرة الغريبة والتحكم الدخيل . هذه النزعة الى الحرية دفعتهم في الماضي الى قمم المجد ، وما تزال تدفعهم اليوم الى استعادة حقهم المسلوب . وقد جعل هذا الشعور منهم أمة محاربة ، فالموت عندهم ــ كالحياة ، لا يفرون من الارل خوفا وفرقا ، ولا يتعلقون بالاخرى اذا كان فيها ما يسوق الى المذلة والمهانة . هذه هي صورة الشعب العربي الصادقة ، وهذا هو واقع ابنائه .

## ٤ — الخطوط الكبرى للشرعة العسكرية العربيـــة :

لا جدال قط بعد بيان ما سبق ان الشرعة العسكرية التي يجب ان نضعها لامتنـــا تختلف عن جميع الشرعات العسكرية التي اعتمدتها الدول العسكرية الاجنبية الاخرى، اذا اردناها ان تكون شرعة واقعية تتجاوب وتنسجم مع أوضاعنا واحوالنا المذكورة.

فشرعتنا العسكرية المفروض وضعها لن تكون هجومية مطلقة كالشرعة الالمانية والفرنسية ، ولا دفاعية بحته كالشرعة السويدية او السويسرية ، ولا شرعة دفاعيـــة هجومية كالشرعة الروسية ، بل يجب ان تكون شرعة عربية مستوحاة ومقتبسة من روح شرعة اجدادنا وابائنا العسكريين ، والتي لخصنا باختصار وايجاز نظامها وقواعدهـــا مما نقله الينا مؤرخو العرب . فشرعتنا العربية الكبرى قد تكون شرعة عسكرية مندغمة اقليمية أو اقليمية مزدوجة وتكون شرعة دفاعية في اقليم معين او اكثر من اقليم ، وشرعة دفاعية هجومية في اقليم او اكثر من اقليم ، واخيرا شرعة هجومية مطلقة جزئية فـــي مجموعها . ومرد هذا الادغام في الشرعة العربية أوجبته سعة البلاد وتفاوت الاقاليـــم الطبيعي والبيئي . فالسوقية الهجومية المطلقة العامة لا تستطيع مباشرة ان تقـــوم بمتطلباتها الهجومية الكاملة بكافة الاقاليم الواسعة مباشرة في زمن محدود قد لا يسمح لها بتفادي التقصير والتأخير ، وان السوقية الدفاعية الشاملة لكافة الاقاليم المؤلفـــة قد تؤدي الى ضياع اقاليم قاصية دون ان يكون نظامها المفروض استعادة أو نصرة هذه الاقاليـــــم المفقـــــودة .

وهكذا فانه في كلتا الحالتين تكون النتيجة ، هجومية كانت أو دفاعية ، تقصيرا أو عجزا ، وقد تترتب عليهما النتائج السيئــــة .

فالشرعة العسكرية العربية المندغمة التي يستوجب تخطيطها هي دفاعية في اقليم معين وهجومية في اقليم اخر ، وهجومية شمولا لكافة الاقاليم . وهي الشرعة التـــي يتوجب علينا وضعها وبناؤها واختيار اسسها وقواعدها ونظامها وترتيباتها .

فلو فرضنا احتمالا أن العراق هوجم فوق أرضه من قبل دولة مجاورة أو دولـــــة اجنبية معتدية ، فيجب ان يتبنى ويعتمد شرعته الدفاعية القادرة على الصمود زمنا مـــا، ريثما تتمكن سوقية الاقاليم المجاورة وبالتالي سوقية الوحدة العربية أو الاتحاد العربي الهجومية الشاملة من مؤازرته في مجال المكان والزمان المحيط بها. ولو ان ليبيا هوجمت في دورها مثلا فيجب أن يتبع الخطة المذكورة انفا ، ان هذه الخطة تنطبق على بـــلاد الســـودان .

واليوم حدث في منطقتنا العربية كما حدث بالامس ونعني بذلك العدوان الايراني على العراق الشقيق ، فالمطلوب من الامة العربية وقفة عربية صلبة لايقاف نزيف الدم ومشاعر العدوان والتهديد وشهوة التوسع الايراني وهي شهوة بالطبع لن تكتفي

بالعراق وحده بل تشمل كثيرا من دول الخليج وشبه الجزيرة العربية والنتيجة واضحة كل الوضوح فلا ولن تستطيع ايران احتلال العراق في النهاية ولا العراق طامع بالتوسع في أراضي ايرانية لكن غباء تلك القيادات في ايران التي تظن انها تفرح شعوبها في انتصارات وهمية جعلها تخطئ وتؤلم . وبالرغم من ان الحكومة العراقية استجابت لجميع الجهود والوساطات ورحبت بكل المبادرات الدولية لبحث الظروف والمشاكل التي كانت سببا في الحرب ووضع الحق في نصابه الصحيح لوقف القتال ووضع حد للاستنزاف المادي والبشري . الا ان ايران رفضت كل الجهود والوساطات وتصلبت في مواقفها مما يدل على نواياها التوسعية . ولا يغفل عن ذهننا ان حل قضية الامة العربية على جناحها الغربي حلا مشرفا مرتبط ارتباطا مطردا مع حل مشرف لقضية الامة العربية على جناحها الشرقي .

لذا فان على العرب ان يحسموا موقفهم وعليهم ان ينهوا حالة التردد والمناورة ليقفوا صفا واحدا متراصا مع العراق الشقيق ان هم ارادوا حقا حلا مشرفا وعادلا للقضية الفلسطينية او اي قضية عربية اخرى .

فالمفروض اذن على كل اقليم من الاقاليم العربية ان يعتمد شرعة دفاعية وشرعة هجومية مندغمتين تتناسقان مع الشرعة الهجومية الشاملة العامة ، تترتب قواعد كل منهما على الدفاع الافرادي لدى الحاجة ، على الهجوم التعاوني عند الضرورة . ولذا يترتب على هذه الشرعة ان تكتنف سوقية خاصة ، وتعبئة خاصة ، وتشكيلات ووحدات عسكرية خاصة ، واسلحة خاصة ونظام مناورات حربية خاصة ، وانظمة عسكرية خاصة تنطبق على كل اقليم كما تنطبق على مجموع الاقاليم . فهذه الخصائص تختلف طبعا بين اقليم واخر ، فخصائص الحجاز السوقية والتعبوية تختلف عن خصائصها في سورية ، وانها لتختلف في العراق عنها في المغرب او اليمن او السودان مثلا وغيرذلك.

ويتضح لنا بصورة جلية مما تقدم ذكره ان الشرعة العسكرية العربية التي نحن بصددها ، شرعة معقدة دقيقة للغاية ، يتوجب دراستها بعناية من اجل وضع اسسها وقواعدها بصورة مستوفاة الشروط تفي بالغرض وتؤمن المردود المطلوب ، كيما تصبح شرعة متناسقة مع سياستنا العامة وحالتنا الحربية واوضاعنا الطبيعية . ويجب ان تتجاوب شرعتنا هذه بسوقيتها وتعبئتها مع واقع تفاوت طبيعة وبيئة الاراضي العربية المتنوعة .

واستنادا الى هذه النظرية ، يقسم الوطن العربي الى مجموعات دفاعية اساسية ينتظم بموجبها نظام التعاون السوقي «الستراتيجي» والتعبوي لهذه المجموعات وفقا للشرعة العسكرية العربية العامة .

ويطبق نظام التعاون السوقي والتعبوي على هذه المجموعات لدى وقوع العدوان على اي جزء منها ، فيتربص هذا الجزء على حالة الدفاع المطلق ريثما تتولى السوقية العربية الشاملة مؤازرته ومساندته بقواتها السوقية والتعبوية المحشودة التي يفترض الا تقل عن ثلث قوات كافة المجموعات الضاربة في حالة الحرب طويلة الامد .

وهكذا تستطيع الوحدة العربية او الاتحاد العربي تأمين حماية كافة الاقاليم والاقطار العربية القريبة والبعيدة ، وتأمين تعاون شامل بين الاقطار المجاورة مبدئيا. وبالتالي التعاون العام الشامل ، اذ يمكن على هذا الاساس تطبيق الشرعة العسكرية الحربية الانفة الذكر تطبيقا وافيا مضمون المردود والنتائج .

هذه هي شرعتنا العسكرية الكبرى بالنسبة للوحدة أو الاتحاد العربي . اما اسرائيل ، هذه الدويلة الغاصبة ، التي أوجدها الاستعمار . والتي تشن علينا مع كل قوى الاستعمار العالمي حرب ابادة ومصير ، فهي تعتمد حاليا سياسة توسعية، وشرعة عسكرية مقررة مدونة تتجاوب مع اهداف سياسة الاستعمار ، شرعة دفاعية هجومية تنبثق منها مناورات حربية مماثلة هي ( مناورة الموضع المركزي ).

ان غاية المناورة الحربية المذكورة أن تستوقف دفاعيا قوات العرب على مختلف الجبهات المحيطة بها، ما عدا جبهة واحدة لمهاجمتها بتفوق عددي ساحق لاخراجها خارج نطاق القتال ، ثم الانتقال بحرية وتفوق الى جبهة اخرى للغاية والغرض ذاتهما، حتى تتمكن اخيرا من دحر كافة الجبهات جبهة تلو اخرى . وهذه المناورة الحربية هي بالفعل المناورة التي اعتمدها العدو ونفذها في عملياته وحركاته عام ١٩٤٨ .

ان السوقية الاسرائيلية هي احدى سوقيتين من سوقيات نابليون الكبرى التي كان يعمد اليها في حالة التدني العددي بالنسبة الى العدو ، كما يحقق بمناوراته على الخطوط الداخلية عامل التفوق على جزء من قوات العدو لدحرها واخراجها من حلبة القتال ، ثم يتناول بقية الاجزاء الاخرى واحدا بعد واحد حتى يأتي عليها كلها ويدحرها افراديا .

هذا هو الاساس الذي أوجب على اسرائيل اعتماد الشرعة الدفاعية — الهجومية وسوقيتها ومناورتها الحربية بحكم موضعها المركزي ازاء دول العرب التي تحيط بها، ولوفرة مواصلاتها الداخلية العرضية التي تتوزع فوق اراضيها ، والتي تؤهل لها سرعة وامكان نقل قواتها الضاربة من قطاع الى اخر . ان المناورة الحربية المضادة الضاربة التي تستطيع اجهاض شرعة اسرائيل بقوة ، وتحطم مناوراتها الحربية ذات الموضع المركزي ، تترتب في اعماد نظام الهجوم السوقي العام ، واعتماد المناورات المتفوقة على مختلف حدودها واراضيها لتثبيت قواتها بأجمعها وتهديد مواصلاتها العرضية تباعا لمنع هذه القوات من التحرك والانتقال بسهولة وحرية من جبهة الى جبهة اخرى، ثم مبادرتها بالهجوم المطلق وذلك باعتماد مناورات التلاقي ، او مناورات الجيوش المتلاقية .

واخيرا نورد تعليقا على اسرائيل وخطرها الاشارة الى ان كارثتنا في ربوع فلسطين، وضياع الجزء الاكبر ذي الاهمية السوقية كان عامله الاساسي ليس الصهيونيـــة ولا الاستعمار ولكن التفكك المادي والمعنوي الذي احاط بالدول العربية وبالتالي عدم قيـام اتحاد مكين بين اقطار البلاد العربية يجمع بين اغراض شعوبها واهدافها المشتركة .

اجل ، لقد لعبت الصهيونية دورها في هذا التفكك بمعونة الاستعمار من اجـــل توسعه وابقاء هذه التجزئة ، وكانت خاتمة الدور المدبر المرتب بحذق ومهارة الكارثـة الاليمة التي المحنا اليها ، وهي التي ايقظتنا بالفعل على واقعنا الحقيقي المتردي ، وكشف لنا بجلاء عن مواطن الضعف والعجز التي اكتنفتنا ، والتي سببت ضياع فلسطـــين المقدسة الجزء الغالي من بلادنا الذي لا يمكن التخلي عنه اصلا ، ولا الاستعاضة عنـه الا باستعادته نهائيا مهما طال علينا العهـد والزمـــن .

ان وجود اسرائيل في وسط كياننا العربي ، وعند مفرق طرقنا واتصالنا خطر بالـــغ لا حد لخطورته ، وانه لاشد خطرا علينا من كل استعمار وادهى ، وان من زوال اثـر الصهيونية كدولة في بلاد العرب زوال كل خطر ، وان ازالة كيانها السياسي من عالمنـا العربي تصفية نهائية لكافة المشاكل التي يمكن ان تحيق بنا ، وتهدد كياننا ومستقبلنـا تهديـــــدا خطـــيرا .

ان شرعتنا الحربية لتفرض علينا هذا الواقع فرضا ، لشرعتنا العربية الكبــرى السبيل والقوة ، وان على الامة العربية أن تتطلع بعين باصرة وبصيرة نافذة الــــى المستقبل الغامض الذي يمكن ان يحمل بين طياته وجنباته اخطارا مرتقبة تفوق خطـــر اسرائيل والاستعمار معا ، وان تهيء منذ الان ضدها كل ما استطاعت من قوات وامكانات حديثة ضاربة . وازاء ذلك ، فان شرعتنا العسكرية توجب علينا ، قبل العمل على تحقيق اهدافنا ، تحقيق امنيتنا الغالية في الوحدة ، وان اي مسعى يحول دون تحقيـــق هذه الغاية القومية هو بلا ريب مسعى اثيم . وخلاصة القول لكي نصير اقوياء مرهوبـــي الجانب ونحافظ على وجودنا وكياننا العربي،يجب أن نخلص من وجود اسرائيل السياسي كي نتحرر من القيود التي تلزمنا بالضعف وتمنع عنا عناصر القوة والقدرة ، وليعمـــل العرب حثيثا من اجل انقاذ شعوبهم اذا كانوا حقا رعاة صادقين ومخلصين لوطنهـــم وامتهم . وامناء على مسؤولياتهم الوطنيـــة والقوميـــة والتاريخيـــة .

وقبل اختتام موضوعنا نعود الى شرعتنا العربية الكبرى . اي الشرعة الدفاعية الهجومية المندغمة الشاملة التي تفرض علينا تبني تعاليمها وتطبيق اسسها وكل ما يتعلق بوضعها موضع الاعتماد والاجراء ، وان يتم وضع هذه الشرعة بعناية فائقة ، وان تكون هدف دراسات كبار خبرائنا العسكريين والتي يرجح أن تقوم وترتكز على النقـــاط الاساسيـــة التاليـــة :ـــ

أ — وضع نظام استراتيجية هذه الشرعة التي يجب أن تنبثق عن تعاليمها بالذات .

ب — وضع نظام تعبئتها العامة المفروض فيها أن تتفرع عن سوقيتها المذكورة ، الا انـه اذا ارادت أن تفهم نظام تعبئة معينة يجب ردها الى السوقية التي ابدعتهـا ( كما قال نابليون بهذا الصدد ) .

جـ — وضع نظام التشكيلات والوحدات الحربية وفقا لتعاليم ومقتضيات هذه الشرعـة التي تحقق بصورة مثبتة عوامل التفوق والقدرة والسرعة والمباغتة وسهولـة المناورات الحربية في الساحات السوقية والميادين التعبوية تجاوبا مع طبيعـة الاراضي والبيئات والاحوال التي سبق ذكرها .

د — تأمين الاسلحة والمعدات والالات التي تلائم طبيعة الميادين الحربية العربيـة المتنوعة ، وصيانتها واستبدالها وخاصة منها الاسلحة الفنية الضاربة السوقية منها والتعبوية كالطائرات والمدرعات والصواريخ والبوارج البحرية وغيرها .

هـ — تنظيم أسس دفاع الاقطار المجاورة بحيث يمكن أن تتعاون وتتساند قوات عـدة اقطار مجاورة مع بعضها لغاية واحدة وهدف معين ريثما تتوسع السوقيـة الهجوميـة الشاملـة .

و — انشاء صناعات حربية وافية كافية لتجهيز القوات المسلحة باعداد كبـرى والاستغناء قدر الامكان عن اعتماد انتاج الصناعة الحربية الاجنبية ، واتخـاذ الحلول والتدابير اللازمة لامكان تحويل المصانع المدنية الى مصانع حربيـة عنـد الضرور .

ز — تأهيل هيئات أركان حرب عامة من اجل تنظيم وتوطيد تعاليم هذه الشرعـة ، واعداد مدارس تدريبية ومدربين عارفين لتطبيق تعاليمها ، وتثبيت هذه التعاليم في انظمة مدونة لتأمين اشاعتها وترويج دراستها النظرية وامكان تطبيق قواعدهـا على المناورات الحربية باستمرار في نظام الوحدات الكبرى والوحدات التعبوية معا هذه هي الخطوط الكبرى التي يقتضي التوسع في دراستها كما يبدو وبالتالي وضع نظمها وقواعدها بصورة متقنة وافية ، وتأمين كافة الزامياتها ومتطلباتهـا عن سعة .

ان وضع شرعة تتلائم مع أوضاعنا يؤلف ضمانا ثابتا لمستقبل أمتنا العسكري . وكم من شرعية تبنتها دول العالم لم تكن تتجاوب مع واقعها واوضاعها ، فساقتها الـى اسوأ المصائر . وكم من شرعة كاملة دفعت بالامة التي ابدعتها وسارت بموجبهـا ، الى افضل . ان التاريخ يحمل بين سطوره كثيرا من الشواهد والامثال التي تتعلق بشرع الحرب يمكنا ان نقتبس ونتعلم منها شتى الخبر والعبر التي قد تفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا

# قواعد النصر في المعارك

# قواعد النصر في المعارك

تقوم القيادة وتتوطد على اساس معرفة الجند معرفة وثيقة مثبتة . فالرجل المحارب ظل عبر العصور وما يزال حتى اليوم الاداة الاساسية الفعالة في سياق الحرب . وبالرغم مما اعترت الوسائل الحربية المعدة لخوض القتال من تطورات عميقة التأثير ، بعيدة المدى ، فقد ظلت الاداة البشرية نسبيا ، العنصر الاول والامثل في تسيير الحرب . اذن فمعرفة الجند المعرفة المطلوبة من شانها ان تحد من خطورة الاغلاط والاخطاء والوقوع فيها ، وان تسهل تنفيذ الخطط الحربية التي تعتمدها قيادة الجيوش ، ان في اهمال معرفة ماهية الجند وذاتيتهم وميزاتهم وخصائصهم المعنوية والمادية خطورة بالغة ذات نتائج غير مرغوبة .

ولذا يتوجب من اجل تدريب المحارب العناية بالاعتبارات الاساسية التي تكمل وتعزز روح المبادهة في الوحدات الدنيا كالزمرة والحضيرة والفصيل والسرية والكتيبة والعمل على توطيد اساس سام للسلوك العسكري حرصا على انجاح تنفيذ الواجبات العسكرية .

تتيح الحرب امكان امتحان القوى الطبيعية والمادية ( الجسمانية والجسدية ) والقوى المعنوية الكامنة في الفرد المحارب ،بما تكتنفه من تجارب عنيفة ، ومظاهر مخيفة واخطار هذه الواجبات بصورة فعالة ، ان يدرب عسكريا وفنيا فحسب ، بل يتوجب حكما أن يمرن على المقاومة والاحتمال ، والثبات والصبر ، وان يعود على احتمال المصاعب والمشاق التي تعترضه اثناء القيام بخدمات الميدان وواجباته ، يعززه دوما الانقياد القائم على المثل والمباديء وحب الحياة العسكرية التي يحيطها التقشف والحرمان . ان مثل هؤلاء المحاربين المطبوعين بروح الواجب يضفون على وحداتهم ظلا وارفا من المنعة والصمود والعزة الوطنية ، ويتمكن فيهم الشعور القوي بالواجبات المشتركة المتبادلة فيما بينهم في اطار وحداتهم ، كل هذه العوامل يمكن ان تحقق السيطرة على المؤثرات الخارجية التي من طبيعتها أن تثبط الهمم ، وتضعف العزائم في حلبة القتال والميدان . ان هذا الشعور القوي المتحرر المدرك لعظمة والواجب هو اعظم من الشعور المفروض بواقع الخوف ودافع العقاب والخشية من الشوائن المحطة .

ورغما من تقدم الفن الحربي تقدما واسعا ، وتطور وسائله تطورا بالغا ، فقد ظلت قيمة المحارب الفردية القوة العاملة الحاسمة في مجرى القتال . ان تفاعيل القتال في الميدان تثبت طاقة هذه القيمة وتبرهن عن قدرتها واهميتها الجليلة ، حيث يتوجب على كل محارب ان يتدرب ويروض نفسه على مواجهة اي عقبة بشجاعة واقدام ، وثبات

وجراة . وان يعتقد الاعتقاد الجازم بان التوفيق والنجاح هما نتيجة العمل الحـــازم والجهـــــــد الصــــــادق .

ان توزع القوى في ساحة القتال بفعل تأثير الاسلحة والمعدات الحديثـــة الفتاكة الكاسحة يزيد في صعوبة الاشراف على سير العمليات الحربية المتواترة . بيد ان التماسك المادي والمعنوي الذي يعنى به القادة والامار والرؤســاء العناية التامة ، والمرتكز على عوامل الانقياد والانضباط ، والعزة والكرامة اللذين تتعهد القيادة تنمية شعورهمـــا في احاسيس الجند الفياضة بشتى الوسائل المجدية والمؤثرة ، واعداد النفوس المهيئـــة على الاخلاص والتفاني في سبيل الواجب المقدس ، وترويضها على الثقافة والمحبـــة المتبادلتين بين الرفاق ، وعلى اعلان شأن الوحدة التي ينتسب اليها كل محارب ، كلها عوامل ايجابية للتغلب على العوامل السلبية الضارة ، وقهرها من اجل تحقيق الغلبة والظفر . ان تطبيق قواعد فن ادارة وقيادة الجيوش يتوقف على القادة والامار الذين يتمتعون بميزات خلقية سامية كالرصانة ، وقدرة التأمل ، والتدبر الاداري ، ودقـــة التفكير وسرعة الخاطر والفهم ، وحب المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، والتصميم والثقة بالذات وبالقرارات المتخذة ، يضاف الى هذه المزايا الجليلة نشاط التنفيذ ، وروح الثبات والصمود والمقاومة ازاء تطورات القتال واحداثه واعراضه .

ويتأثر الجند تأثرا عميقا بمثال الرؤساء والقادة،وحسن تصرفهم وسلوكهم العسكري الممتازة ، ولذا يتحتم على الرئيس الامر ان يتمتع بمعرفة حسنة ، وثقافة عالية ، وقوة ارادة جبارة غالبة ، وثقة ذاتية فائقة ، وحرية تفكير وتصرف واغية ، وابتعاد عن الاثرة وحب الذات،وجراة وشجاعة بعيدة عن التهور والمغامرة المتطرفة ، لان اقل مظهر مـــن مظاهر الجبن والخوف، والتردد والخور ، أو فقدان الارادة الذاتية للاشتراك والمساهمة فيما يتعرض اليه مرؤوسة تفقده الى حد كبير صفات الرئاسة وميزات الرئيس. وعلى النقيض يسوق الرئيس الشجاع الجريء المصمم جيوشه وقواته معه مهما تنوعـــت وتعاظمت المصاعب فيوجهه . ان الثقة المتبادلة بين الرئيس وجنده ورجاله هي اجـــل وامن قواعد الانقايد . ولكسب هذه الثقة الغالية على الرئيس ان يمهد السبيل المعبـــد للوصول الى افئدة مرؤوسه ، والتاثير عليها معنويا وروحيا ، بفعل القدرة على فهـــم افكارهم ، وتحسس شعورهم ومعرفة غاياتهم واغراضهم مظهرا دوما العناية الجلـــى بمصالحهم ، والاهتمام التام براحتهم وتحسين حالتهم ، وتحقيق رغباتهم المعقولة .

ويعمل الامر على تحاشي ارهاق جيوشه وقواته بمتاعب عديمة الفائدة، ولا يغامر قط في اعتماد تدابير هوجاء أو وضعيات خاطئة تعرضه ووحدته للاخطار المفاجئة. ويسعى دوما الى الاتصال الوثيق بوحداته الملحقة بواسطة الزيارات الشخصية ، والاشراف الذاتي . ومن الطبيعي ان يتعرض بفعل اتصالاته الشخصية على حالة وعقلية ومعنوية وقدرة ومقاومة جيوشه وقواته المعنوية والمادية والشروط التي تكتنفها ، والامور التـــي تواجهها من اجل اتمام وانجاز واجباتها ووظائفها .

ويسعى الامر ايضا الى توسيع اشرافه من اجل تامين حسن سير وسلامة المصالح والادارات المرتبطة به ، وتقديم المعرنة المتوجبة في انها ووفقا للزومها ، ويعمل مشجعا مرؤوسه في المحن والملمات . ويقابل روساءه بالوفاء والاخلاص والامانة. ويتحتم عليه أن يعيش مع جنده يتتحم معهم غمرة المصاعب ، ويقاسمهم الحرمان والالام ، ويشاركهم الاحزان والاتراح . وبفعل خبرته وسعة اطلاعه ، يجب أن يكون خليقا وجديرا بمعرفة الاوضاع والوضعيات المواجهة ، واهمية وسعة الاعمال الحربية الراهنة ، ومطالب وحاجات الوحدات الموضوعة تحت امرته وادارته . فالقائد او الآمر الذي يفرض على جنده دون ضرورة المتاعب القاسية ، يستدرج بأعماله هذه الحيف على نفسه ، والخسارة على جنده . ان استغلال القوة والقدرة في القتال يجب ان يتناسب مع اهمية الهدف المنشود . وعندما يحين تنفيذ المهمة المعطاة ، يتلقى الآمر من وحدته ومرؤوسيه اقصى التضحيات .

يجب ان يتحلى المحاربون جميعا بروح التعاون المجرد عن الاثرة وحب الذات والانانية .

فالقوى والكفء يعين الضعيف وقليل الخبرة يقوده ويمده بقوته وكفاءته . ويتوطد على هذا الاساس ويعزز شعور الرفقة الحقيقي بقوة وعزيمة حيث تتجلى قيمة الجيوش المقاتلة التي تتهيأ بكليتها لتعمل بأمرة القائد ووفقا لرغباته ومقرراته .

وتتحدد قيمة الوحدة الحربية على سياق وأسع وفقا للصفات والميزات التعاونية المتبادلة بين الرؤساء والمرؤوسين والقائمة على متانة الارادة في القتال . وتبدو هذه الصفات والميزات خارج اطار القتال على المظاهر الخارجية التي تشمل تشكيلات الجند ومن مظهرهم ، ومبلغ عنايتهم بصيانة الاسلحة والمعدات والتجهيزات التي يستخدمونها، وسلوكهم وقيافتهم داخل العمل وخارجه . فقيمة الوحدة الحربية الصحيحة تعوض عن القلة العددية . ان الادارة العليا المندغمة مع قيمة وقدرة الوحدة الحربية المقاتلة، تشكل في الواقع القاعدة الاساسية المرتبطة بعامل النجاح في القتال والميدان .

ان الوحدات الحربية المحدودة التدريب هي غالبا ما تكون عرضة للاخفاق والاندحار في الحالات الدقيقة . ويظهر هذا الاحتمال بوضوح وخاصة في الالتحامات البدائية في قتال الوحدات . ولذا فالتدريب والانقياد هما عاملان عظيمان الشان واسعا النتائج . ان الآمر الحازم مكلف باتخاذ التدابير النشيطة ضد العوامل المعاكسة كاضطراب والجمود والمؤثرات الخارجية غير المرغوبة .

فالآمر العاقل الكفء لا يغيب عن فطنته قط بأن الجند الموضوعين تحت امرته يؤلفون كيان وحدته المنظمة التي يتوقف عليها سمعته وشرفه ، وامان وطنه وسلامة

أمه وبلاده . وهو يعمل على تجهيز كل وحدة من وحداته الدنيا برئيس مختار مجـرب جدير بالتمتع بثقة كافة افراده . وبهذه الطريقة ، وعلى هذا الاساس يستطيع تنظيـم وادارة وتوجيه الوحدة التي يترأسها ، متأكداً بأن كل فرد من افراد الوحدات المؤلفـة لوحدته ينفذون جميعا بالتساوي القدر المعين من العمل المفروض . ويتمتعون جميعهم بالقدر المسموح من الراحة المستحقة متساويا .

ويبرهن عمليا بأن كل مجهود وانتاج يبديه اي فرد من افراده ومرؤوسيه هو موضع التقدير والاعتبار ، والجزاء والمكافأة ، وان كل تقصير او اهمـال مصيره القصاص والعقاب بما يتناسب مع خطورته وضرره . ويضع امام الجميع اساسا ثابتا للسلوك العسكري الممتاز ، ويطبق على الجميع انظمة موحدة وقواعد انقياد مشترك .

ان المعنويات العالية القائمة على التوجيه الصحيح ، والتصرف المتعقل، والاتجاه الموحد في قيادة ما ، لا تحقق عفوا وارتجالا ، بل انها ثمرة الجهود الطويلة ، والتنظيم المتقن والعناية الدائمة . والتدريب على الواجبات الاساسية للرفقة والمحبة، والتنظيم والدقة ، والاخلاص والتفاني من اجل الوطن ورفعته وغاياته السامية المقدسة. وتتطلب من كل آمر توطيد وصيانة المعنوية القوية التي هي صورة حقيقة الادارة المتقنة، والقيادة الثابتــة الواعيــة .

ان المطلب الاول في الحرب مرتبط مع الاجراء الحازم والعمل الحاسم. ويعنـى الامر كل العناية من اجل كسب ثقة مرؤوسيهم وسلوكهم الحازم ، وبمهارتهم في تحقيق وتأمين التفـوق المادي على العـدو .

وعلى الآمر الا يتناسى بأن الضعف الجسدي والجسماني ينسف قدرة الوحـدة ويعطل مقدرتها وطاقة امكاناتها . وهو مدين لرجاله العاملين تحت امرته بهذه القدرة والطاقة البشرية اللتين تساعدانه على المحافظة على ميزاته الطبيعية والخلقية المتفوقة وعلى حرية تفكيره ونجاح اعماله . ان كل اهمال بالعناية بهذا الضعف وتلافيه وازالتـه يضع الآمر في موقف لا يتسع للسيطرة على تفكير معتاد مألوف ، وفكر ثاقب صائب لحل المسائل المعترضة ، والتصرف بشكل ملائم من اجل تسيير قيادته وتحقيق اغراضهـا المفروضــة .

هذه هي القواعد الاصيلة التي يتوجب على كل آمر اتباعها ، وهي ضمانة العمل الناجح ، وسبيل الوصول الى الغاية المرجوة لتحقيق الفوز والغلبة ، فمن اتبعهـا ورعاها تغلب وانتصر ، ومن اغفلها واعرض عنها خسر واندحر .

## الخاتمه:

ان اولى الواجبات الاساسية المتوجبة علينا جميعا هي تحقيق وحدة امتنا أو اتحادها بالرغم من كل العقبات والمصاعب المعترضة ، وان هذه الوحدة لتجب على العرب حمايتها من جميع اعدائها ، والعمل على تعزيز قدرتنا العسكرية وتنظيمها وتوفير امكانياتها وذلك بوضع شرعة عسكرية مسبقة صحيحة سليمة تتجاوب مع اوضاعنا تجاوبا كاملا .

ان الحاضر والمستقبل كلاهما يدعونا جميعا لنزداد قوة على قوة ، وقدرة فوق قدرة ووعيا صادقا مخلصا لجمع ما تبقى من شتات الامة العربية المبعثرة ، في كتلة واحدة متراصة لنجعل انفسنا واعقابنا واوطاننا وبلادنا في مأمن من غدر الايام وعاديات الزمان.

ان أي شعب من شعوب العرب يرغب عن الاندماج في نطاق الوحدة العربية الكبرى أو الاتحاد العربي المنتظرين ، ويتأخر عن اللحاق بهذا الركب السائر ، لهو اشبه بالطائر الغبي الذي يخفي راسه تحت جناحه ظنا منه ان الصياد البصير لن يراه ، وان كل فرد عربي يعرض عن تدعيم فكرة القومية العربية ، والعمل من اجل تحقيق اتحادها، أو يتنكر لها ويناهضها ، أو يتصدى لسياقها الطبيعي ووجودها المفروض ، وقانون البقاء الطبيعي سيكون بلاريب ضحية السفه والجهالة، والخطر الماحق – لا قدر الله – الذي يترقب الوطن العربي والامة العربية في المستقبل .

وأخيرا يتحتم علينا لاختتام موضوعنا هذا ايراد عناصر التفوق العسكري العربي التالية ، التي لا بد منها .

- قومية واحدة
- سياسة واحدة
- شرعة عسكرية واحدة
- قيادة عسكرية موحدة
- اهداف مشتركة واحدة

## المصـــــادر :


١ — ابن الاثير

اسد الغابة في معرفة الصحابة، ٥ج المطبعة الوهيبة، القاهرة ١٢٨٠ هـ

٢ — ابن الاثير

الكامل في التاريخ، ١٢ج تحقيق عبدالوهاب نجار، ادارة الطباعة المغيرية القاهرة، ١٣٤٨.

٣ — ابن حجر العسقلاني

تهذيب التهذيب، ١٢ج حيدر اباد الدكن، دائرة المعارف النظامية ١٣٢٩هـ

٤ — ابن حزام، محمد

جوامع السيرة، تحقيق احسان عباس، وناصر الدين الاسد — دار المعارف القاهرة، ١٩٦٨.

٥ — ابن سعد، محمد

كتاب الطبقات الكبيرة، ٨ج تحقيق ادوارد سيخو، ليدن، بريل ١٩٣٧.

٦ — ابن عبدالحكم، ابو القاسم عبدالرحمن

تاريخ فتوح مصر والاندلس.

٧ — ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن

التاريخ الكبير، ٧ج تحقيق عبدالقادر بدران، مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣٢١.

٨ — ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم

كتاب عيون الاخبار، ٤ج ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٠.

٩ — ابن كثير

البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ج المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣٢

١٠ — ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد

تجارب الامم وتعاقب الهمم — ٣ج، القاهرة.

١١ — ابن هشام، عبدالملك

السيرة النبوية، ٤ج، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الذبياري وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥.



١ • انتسب المؤلف بخدمة القوات المسلحة الاردنية بالربع الاخير لعام ١٩٤٥ •

٢ • خريج مدرسة المرشحين لعام ١٩٥١ •

٣ • ترقى بالرتب العسكرية حتى رتبة عميد عام ١٩٧٢ •

٤ • تسلم عدة مناصب عسكرية رفيعة بالقوات المسلحة اخرها قائد حامية المواصلات •

٥ • انتدب في بعثة عسكرية قيادية وتدريبية للخليج العربي وتسلم منصب مساعد قائد الجيش البدوي الحضرمي •

٦ • منح عدة أوسمة أردنية وعربية واجنبية أرفعها وسام الاستقلال الاردني من الدرجة الاولى •

مديرية المطابع العسكرية